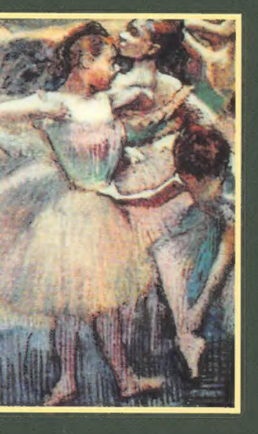
د. صبحي الشاروني

أشهر السرقات من المتاحف

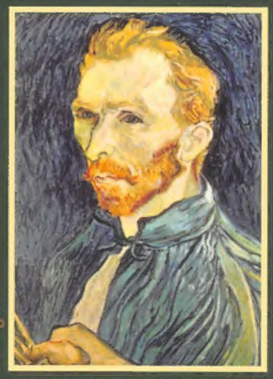


الدار المصرية اللبنانية















الدار المصرية اللبناني

د. صبحي الشاروني

أشهر السرقات من المتاحف

أشهـر السرقـات
مـن المتاحـف

د. صبحي الشاروني

تصميم وإخراج
محمد دسوقي

الطبعة الأولى

2011

الشاروني ، صبحي .
أشهر السرقات من المتاحف / صبحي الشاروني
. ـ ط1. ـ القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 2011.
152 ص ؛24 سم .
تدمك : 7 ـ 655 ـ 427 ـ 977 ـ 978
1 ـ السرقة .
2 ـ المتاحف .
أ ـ العنوان 364.162
رقم الإيداع : 2011 / 1670

الدار المصرية اللبنانية
16 عبد الخالق ثروت ـ القاهرة .
تليفون: 23910250 202 +
فاكس: 23909618 202 + ـ ص.ب 2022
E-mail:info@almasriah.com
www.almasriah.com

الطبعة الأولى : صفر 1432هـ ـ يناير 2011م

د. صبحي الشاروني

أشهر السرقات من المتاحف

الدار المصرية اللبنانية

المحتويات

مقدمة

عندما كنت في بداية الطريق لمهنة الصحافة والنقد الفني ، كنت أبحث عن بيانات ومعلومات تتعلق بالأمير «يوسف كمال» الذي أنشأ على نفقته مدرسة الفنون الجميلة المصرية .. ولجأت إلى أرشيف الصحف ، وإذا بها خالية تمامًا من أي معلومات عن الأمير (السابق) .. وبعد فترة تبين أن كل ما يتعلق بأسرة الملك السابق فاروق قد تم سحبه من أرشيف الصحف واختفى بعد أن استولى على الحكم في مصر ضباط الجيش عام 1952 .

وتعلمت من ذلك التاريخ درسًا مهمًّا في العمل الصحفي هو أن أحتفظ بأرشيفي عندي ولا أعتمد على أرشيف الصحف ؛ لأنه عرضة للتقلبات السياسية .. وبدأت من ذلك التاريخ تكوين أرشيفي بالكلمة والصورة للحركة الفنية المصرية التي تخصصت في متابعتها بالتاريخ والنقد .. وأعددت لكل موضوع ولكل فنان مظروفًا أو ملفًّا أجمع فيه المعلومات والصور وكتالوجات المعارض مع تسجيلها في سجل أبجدي ..

من بين هذه الملفات هذا الملف الذي كانت صفحات الحوادث بالصحف والمجلات هي أهم مصادره وعنوانه «السرقات من المتاحف» .. وعندما تجمعت في هذا الملف مادة تحريرية تكفي لعمل كتاب شرعت في إعطائه الشكل المناسب للنشر ..

وقد دفعتني إلى سرعة إعداده، المعلومات الخاطئة التي كانت تنشر عن أعمال فنية وأثرية شهيرة مثل «رأس نفرتيتي» التي أعلن بعض الأثريين أنها من الحجر الجيري ، وفي الحقيقة هي من الجبس الملون .. ثم الكلام عن لوحة «زهرة الخشخاش» للفنان الهولندي «فان جوخ» والمبالغة في تقدير قيمتها المادية رغم أنها ليست من أفضل لوحات الرسام الشهير ولا تعتبر تحفة فنية رائعة في معايير النقد الفني ، فهي لوحة عادية ليس لها مميزات خاصة سوى أنها اللوحة الوحيدة لهذا الفنان بمصر وأنها تعرضت للسرقة أكثر من مرة وكان حولها لغط شديد ذات يوم ..

ومن بين العوامل التي أشعلت حماسي لإعداد هذا الكتاب، اكتشافي في وقت متأخر للأحداث التي لم تعلن عن «انتهاك مقبرة توت عنخ آمون» والكلام المتداول عنها باعتبارها لم تمس حتى تم فتحها رسميًّا عام 1923 ولكن الحقيقة أنها فتحت قبل هذا التاريخ بعشر سنوات .

هذا إلى جانب حكايات تهريب الآثار المصرية وتعرضها للسرقة والتزييف، وهي أمور وصلت إلى ذروتها .. وأنا أرى أن عودة تجارة الآثار وخروجها بشكل رسمي ، أمر يجب أن يطرح للحوار ؛ لتعديل القانون . ولابد من تعويض مكتشف الأثر إذا كان من الآثار المهمة وكان لدينا مكان مناسب لعرضه على الجمهور فهو أمر مهم جدًّا في طريق وقف أعمال التزييف والتهريب .

أما معاقبة من يعثر على كنز من كنوز أجدادنا المصريين ، كما حدث مع عاملي الترميم ببيت «زينب خاتون» بمصادرة العملات الذهبية التي وجداها ومعاقبتهما على اكتشافها.. فهو درس مدمر لكل الآثار التي سيعثر عليها

الأفراد .. إن هذه المعاملة تحريض على تدمير ما يكتشفه الأهالي .

بقي مواجهة عصابات تزييف لوحات الفنانين المصريين وهي ظاهرة بدأت من منتصف الثمانينيات من القرن العشرين .. عندما اتجهت أسعار لوحات الفنانين إلى الارتفاع بعد وفاة الفنان راغب عياد عام 1981 ، وقد اتجه العرب من هواة اقتناء اللوحات الفنية والتماثيل إلى الفن المصري لإقامة مجموعات فنية عربية ، فارتفعت أسعار لوحات بعض الفنانين المطلوبين؛ مثل محمود سعيد وعبد الهادي الجزار متجهة إلى تخطي حاجز المليون جنيه مصري للَّوحة الواحدة .. ومن المؤكد أن تزييف اللوحات هو الوجه الآخر للسرقة من المتاحف ..

أما الجنون الذي يتلبس بعض الأشخاص ، وخوف بعض رجال الدين من ارتدادهم عن الدين وعبادة التماثيل واللوحات ، فيدفعهم هذا الجنون إلى التحريض على تحطيم الأعمال الفنية قبل أن يسجدوا لها ، وهو الخطر القادم من الوهابيين وأتباع بن لادن محطمي تماثيل بوذا السياحية في أفغانستان وتماثيل حسن حشمت في عين شمس ..

صلوا معي لكي يحفظنا الله من «الهوس» ومن محطمي الأعمال الفنية ؛ ليستمر انتشار الجمال في حياتنا اليومية وحتى نعيش في بهجة ولا نخاف على الفن من أعدائه بعد اليوم .

د. صبحي الشاروني

« أزهار الخشخاش»

أشهر سرقة من متاحفنا !!



لوحة «آنية وزهور» في متحف محمود خليل التي أطلق عليها اسم «أزهار الخشخاش»

(انظر الصفحات الملونة)

اقتحام خط بارليف ، واقتحام المتحف

يوم 10 رمضان اقتحمت القوات المصرية خط بارليف بينما الجنود الإسرائيليون يحتفلون بصيام يوم الغفران ؛ لكي يساعدهم إلههم «يهوه» على الاستيلاء على بقية أرض فلسطين .

ويوم 11 رمضان اقتحم اللص للمرة الثانية متحف «محمود خليل» بالجيزة وقطع بآلة حادة القماش المرسوم عليه لوحة الفنان الهولندي «فان جوخ» التي أطلق عليها اسم «أزهار الخشخاش» وذلك خلال صلاة الجماعة ظهرًا ، التي تجمع فيها الحراس والأمناء والمديرون والموظفات بمتحف محمود خليل تاركين كل شيء للص الذي كان يعرف جيدًا أن أجهزة الإنذار لا تعمل والكاميرات عمياء لا ترى شيئًا ..!!

وتتابعت الأحداث والاتهامات والتحقيقات التي لم تسفر عن شيء حتى صدور هذا الكتاب .. وتعتبر هذه هي المرة الثانية التي تتعرض فيها لوحة الفنان «فان جوخ» الوحيدة بمصر للسرقة ولم يتعرف أحد على المحرض على السرقة في المرة الأولى .. ولا يعرف أحد ماذا ستسفر عنه التحقيقات والتحريات هذه المرة .

****

بعد أيام من بيع لوحة «الشواديف» التي رسمها محمود سعيد بمبلغ مليون و400 ألف دولار .. نشرت الصحف أخبار سرقة كبرى من متحف الفن الحديث بباريس . يطل مبنى هذا المتحف على شاطئ نهر السين .. وقد نقلت معظم معروضاته إلى «البوبور» أو مبنى «البومبيدو» في حي «الهال» بوسط باريس ، وعدد اللوحات المسروقة

خمس ، وتصل قيمتها إلى 500 مليون يورو . وهي من رسم الفنانين «بابلوبيكاسو» و«هنري ماتيس» و«جورج براك» و«أميدو موديلياني» و«فرنان ليجية» . وخلال عملية السرقة تم كسر إحدى ڤاترينات العرض وقطع أحد «الأقفال الحديدية» . وقد دخل اللص من أحد الشبابيك كما سجلت كاميرات المراقبة ولكنه كان ملثمًا !!

وبعد هذا الحدث الذي لم تسفر التحقيقات حتى الآن عن اكتشاف لصوصه ، أعلنت وكالات الأنباء عن سرقة أضخم منها لأحد متاحف نيويورك ولم يتم التوصل أيضًا إلى معلومات عن اللصوص .

وقد سبق أن تعرضت متاحفنا لسرقات مماثلة ، وقد أكدت الإحصائيات عام 1956 أن 36 ألف قطعة أثرية سرقت من دار الآثار خلال 23 سنة .. وقد سبق أن نشرت تفاصيل سرقة لوحة «أزهار الخشخاش» التي سمها الفنان الهولندي «فان جوخ» ولم يقبض على المحرضين على السرقة رغم أن اللوحة لم تخرج من مصر وظلت لدى المرشد السياحي الذي حرض على سرقتها ودفع ألف جنيه مقابل هذا الفعل .. ورغم ما أشيع عن سفرها الوهمي إلى الكويت ثم عودتها ، ثم الزعم بسفرها إلى إيطاليا لتزويرها وغير ذلك من شائعات .. ومن المفيد إعادة تقديم الوقائع والأحداث التي أحاطت بهذا الحادث في ظرف الارتفاع الهائل في أسعار اللوحات المصرية مؤخرًا وانتشار أخبار لصوص المتاحف في الخارج .

المتاحف وقصور الحكم

(كل الثورات تحول قصور الحكم إلى متاحف مثل قصر اللوڤر في فرنسا والأرميتاج في روسيا ... ما عدا ثورة 15 مايو ، فهي حولت المتاحف إلى قصور حكم !!) أطلق هذا التعليق الكاتب الكبير توفيق الحكيم عندما استولى الرئيس السابق أنور السادات على مبنى «متحف محمود خليل وحرمه» مع الحديقة المحيطة به والمجاورة لبيته ؛ ليتحول طوال عشر سنوات إلى «قصر الرئاسة بالجيزة» .

محمود خليل ووصيته

كان المليونير محمود خليل (بك) من كبار الإقطاعيين في مصر ، وقد تولى رئاسة جمعية محبي الفنون الجميلة عام 1924 بعد الأمير يوسف كمال - وهو الأمير الذي أنشأ على نفقته مدرسة الفنون الجميلة بالقاهرة عام 1908 - كما كان «خليل بك» رئيسًا للّجان الفنية في وزارة المعارف (التي أصبحت فيما بعد من لجان وزارة الثقافة) ، وهو صاحب الفضل في إنشاء «متحف الفن الحديث» بالقاهرة ، كما كان يتولى رئاسة «مجلس الشيوخ» وهو أحد مجلسي البرلمان المصري قبل يوليو 1952.

هذا المليونير وزوجته الفرنسية لم ينجبا .. وكانا يعشقان الفنون الجميلة ، فكانا ينفقان الأموال الطائلة على مدى 40 عامًا من أجل اقتناء اللوحات والتحف الثمينة ، حتى تجمعت لديهما أكبر مجموعة في الشرق الأوسط من لوحات فناني القرن التاسع عشر خاصة الفرنسيين.. بالإضافة إلى مجموعة ضخمة العدد من الخزف والصيني والبورسلين والكريستال وأشغال المعادن التاريخية ، ثم الأثاث النادر الطراز .. مما جعل قصرهما المطل على نيل الجيزة متحفًا عظيمًا .. وقد وهب محمد محمود خليل القصر بكل ما يحتويه من أثاث وتحف ، مع جزء من الأرض المحيطة به إلى زوجته الفرنسية إميلين بعقد رسمي مسجل في 19 مايو عام 1947 ، أي قبل وفاته بست سنوات .

الوصية وبقية أرض القصر

توفي الرجل عام 1953 في باريس ودفن في القاهرة ، وتوفيت زوجته السيدة «إميلين لوس» في مارس عام 1960 عن 84 عامًا .. فأعلن «حسن الإبراشي» المحامي أن موكلته المتوفاة قد وهبت القصر المتنازع عليه إلى الدولة ليصبح متحفًا .

فما أن انتهت مراسم الجنازة الخاصة بزوجة «محمد محمود خليل» ، ودفنت في القبر الذي بناه زوجها عام 1949 بالإمام الشافعي، حتى وقف الأستاذ حسن الإبراشي المحامي ليقرأ أمام الورثة المندهشين ومندوبي بيت المال الذين جاءوا

لتحصيل ما يخصهم من الضرائب على القصر ، وأعلن تفاصيل وصية موكلته التي أكدت أن القصر خارج التركة المتروكة للورثة، وبالتالي ليس هناك ضرائب تحصل عنه فقد أوصت المتوفاة بالقصر وجميع محتوياته من لوحات وتحف وأثاث مع جزء من الأرض المحيطة به إلى الدولة ليتحول إلى متحف ، وأقرنت وصيتها بشرط وهو أن تجعل من المنزل والتحف التي يضمها متحفًا باسم «محمد محمود خليل وحرمه» ، على أن يفتح هذا المتحف للجمهور ، وإذا رئي أن توضع تعريفة للدخول فلتكن زهيدة بحيث يكون الدخول ميسورًا للجميع .

وتسلمت وزارة الثقافة القصر ، وجردت محتوياته ، ووضعت على بابه لافتتين نحاسيتين مستديرتين تحملان اسم المتحف بالعربية والفرنسية ، وفتحت أبوابه للجمهور عام 1962 .

يقع متحف «محمد محمود خليل وحرمه» على الجانب الغربي من النيل ، وتطل حديقته على شارع الجيزة ..

فبعد وفاة الرئيس «جمال عبد الناصر» وحتى 15 مايو عام 1971 كان مشروع قصر الفنون الذي بدأه د. ثروت عكاشة ، قد ارتفع هيكله ثلاثة طوابق ، لكن الرئيس أنور السادات طلب من «بدر الدين أبو غازي» وزير الثقافة في ذلك الوقت تسليم مبنى المتحف والحديقة المحيطة به بما فيها مبنى قصر الفنون الناقص ، إلى رئاسة الجمهورية لتحويله إلى قصر للرئاسة ؛ لأنه ملاصق لبيت «أنور السادات» .

وتهرب بدر الدين أبو غازي من التورط في هذا الموقف ، واعتكف بالإسكندرية معتذرًا عن عدم تلبية طلبات الاستدعاء . وفي حالة المواجهة كان يتعمد عدم إثارة هذا الموضوع ويتحاشى مناقشته ، فخرج من الوزارة يوم 14 مايو عام 1971 . وأسرع خلفه «إسماعيل غانم» بتسليم الموقع بعد وقف أعمال البناء في مشروع قصر الفنون.

ونقلت مجموعة اللوحات والتماثيل والتحف إلى قصر الأمير عمرو إبراهيم وهو من القصور المصادرة ، ويقع خلف نادي الجزيرة وبجوار فندق ماريوت بالزمالك

ووضعت على بابه لافتة «متحف محمد محمود خليل وحرمه» وفتح للجمهور عام 1972 (وهو يضم حاليًّا متحف الخزف الإسلامي ومركز الجزيرة للفنون) .

سرقة لوحة «فان جوخ»

ظل «متحف محمد محمود خليل وزوجته» ، بعد نقل محتوياته إلى الزمالك ، في الظل ، لا يعرف قيمة مجموعته إلا عدد محدود ، حتى سطا لص على المتحف ليلًا وسرق لوحة فان جوخ الوحيدة «زهرة الخشخاش» .

وقصة سرقة اللوحة وعودتها بعد عامين يحوطها غموض شديد حتى اليوم ، وهناك عدة روايات حول المشتركين في السرقة والمحرضين عليها ، ولكنها تكاد تتفق في الوقائع التي تتلخص في أنه : في ليلة 5 يونيو عام 1978 قام الهجام «حسن العسال» - وهو لص محترف في سرقة المنازل - بتسلق المواسير ، ودخل المتحف من النافذة المجاورة لمكان عرض لوحة «فان جوخ» «طبيعة صامتة آنية وزهور» والتي أطلق عليها محمد محمود خليل في مجموعته اسم «زهرة الخشخاش» .. وسلمها اللص إلى ابن أحد الوزراء الذي درس في إحدى الكليات الفنية وكان يعمل مرشدًا سياحيًّا ، وقد أطلق عليه اسم «المخ» أي العقل المدبر لعملية السرقة. وتسلم حسن العسال مبلغ ألف جنيه مقابل قيامه بالسرقة.

ونشط البوليس الدولي في البحث عنها ونشرت صورتها في كل مكان وقدر ثمنها بمبلغ 250 ألف جنيه مصري (في ذلك الوقت) فتنبه الجميع لهذه الثروة غير المؤمنة .. وبعد عامين عادت اللوحة في هدوء إلى مكانها بعد أن أشيع عن قيامها برحلة سافرت خلالها إلى الكويت وربما إلى أماكن أخرى دون أن يتوصل اللصوص إلى طريقة مناسبة لبيعها .. وكان شرط إعادتها هو عدم تقديم أحد للمحاكمة ، وقبل البوليس المصري هذه المساومة .

سارق اللوحة حسن العسال

توفي سارق اللوحة «حسن العسال» في السجن حيث كان يقضي مدة العقوبة في قضية مخدرات ، وذلك في بداية شهر أغسطس عام 1980 .. ونشر «محمود صلاح» محرر الحوادث في جريدة «أخبار اليوم» بعض الجوانب عن حياة الهجام (أي لص المساكن) حسن العسال . قال :

« من حي شبرا اختار حسن شريكة حياته ، فتاة هادئة من منطقة اسمها العسال ؛ وبهذا الزواج أصبح اسم حسن «حسن العسال» ، وعندما جاء الأطفال كثرت مطالب الزوجة وبدأت تهجر البيت معظم الوقت إلى بيت أهلها . واشتدت الخلافات فطلقها حسن وتزوج من فتاة أخرى كانت تحبه بجنون ، ولا تريد له أن يمضي في طريق الجريمة . ووعدها حسن أن يبحث عن عمل شريف، لكنه أخبرها أن عليه أن يقوم بسرقة واحدة لحساب مرشد سياحي يسكن في الهرم . كان قد اتفق معه أن يسرق «لوحة أزهار الخشخاش» من المتحف مقابل ألف جنيه !

وتاب حسن بعد سرقة اللوحة . وذات يوم ذهب مع طفلته الصغيرة لزيارة العميد «محمد عبد النبي» مفتش المباحث . فالمفروض أن يذهب اللصوص التائبون إلى الضباط الذين يتابعونهم ؛ ليتأكد الضباط من صدق توبتهم ويساعدوهم على حل مشاكلهم .

وحدث شيء غريب ! كان الضابط وهو فعلاً رجل طيب القلب قد طلب من المخبر الذي يقف على باب مكتبه أن يشتري «شيكولاته» لابنة «حسن العسال» .

واهتز حسن بهذا التصرف الإنساني ودمعت عيناه ، وكنوع من التعبير عن العرفان كشف للضابط عن لغز سرقة لوحة أزهار الخشخاش ، واعترف بأنه هو الذي سرقها، ووعد أن يساعد رجال المباحث في إعادتها ، ونفذ وعده . واشترك حسن بالفعل مع رجال المباحث في إعادة اللوحة، كل ذلك من أجل قطعة شيكولاته ! وقضت المحكمة بحبس حسن سنة كاملة لكنها أوقفت الحكم » وهنا تنتهي رواية الصحفي محمود صلاح ..

ثم تأتي النهاية السعيدة حينما فوجئ «حسين السماحي» مدير الأمن العام وقتها أثناء وقوفه بشارع رئيسي بحي المهندسين ، بسيارة مسرعة تلقي تحت قدميه لفافة بداخلها اللوحة ، وكان ذلك يوم 29 مارس 1980 .. هذا ما تم إعلانه رسميًّا !!

وقد تم تشكيل لجان من الخبراء والمتخصصين لفحص اللوحة العائدة بعد أن تسلمتها شرطة السياحة للتأكد من أنها اللوحة نفسها التي كانت معروضة بالمتحف، وأنها لم يتم تغييرها بلوحة أخرى مقلدة .. وقد قدر ثمنها عند عودتها بمبلغ 4 ملايين جنيه ...

لوحة بخمسين مليون دولار

كانت حرم محمد محمود خليل قد اشترت هذه اللوحة عام 1922 من قاعة برنهايم بباريس بمبلغ 35 ألف فرنك وقدر ثمنها عند سرقتها الأولى عام 1978 بمبلغ ربع مليون جنيه .. وعند عودتها بعد عامين قدر ثمنها بمبلغ 4 ملايين جنيه.. وفي عام 1994 قدرت اللجنة التي قامت بتحديد القيمة التأمينية على اللوحات التي عرضت في متحف أورساي بباريس تحت اسم «أعمال منسية من القرن التاسع عشر » .. قدرت هذه اللجنة قيمة لوحة «فان جوخ» أزهار الخشخاش بمبلغ 50 مليون دولار، إلا أن الجانب الفرنسي تراجع عن عرضها حتى لا يضطر إلى دفع قيمة تأمينية عالية ، فلم تعرض في باريس ضمن هذا المعرض الذي تضمن 66 لوحة من مجموعة محمد محمود خليل وزوجته » .

لكن المهم أن هذه الحادثة نبهت الأذهان إلى الثروة الثقافية في متاحفنا ، فأعيد تنسيق المتحف وتأمينه ضد السرقة والحريق عام 1979 على يدي الفنان يحيى أبو حمده الذي حرص أن تكون الإضافات والتجديدات على نفس طابع العمارة الإسلامية وهي الطراز المعماري لمبنى قصر عمرو إبراهيم .. ثم عادت المعروضات والتحف إلى قصرها الأصلي الذي تم تجديده وتأمينه عام 1995 ثم ظهر أن التجديدات صورية.

الحياة الصاخبة للفنان الهولندي «فنسنت فان جوخ» الذي رسم لوحة «أزهار الخشخاش»

(انظر اللوحات الملونة)



الفنان الهولندي «فنسنت فان جوخ» بيعت إحدى لوحاته لزهور عباد الشمس بمبلغ 82.2 مليون دولار

يعتبر «فنسنت فان جوخ» أشهر فناني القرن التاسع عشر على الإطلاق في وقتنا الحالي.. لقد استطاع أن يحظى باحترام وتقدير مؤرخي الفن ونقاده في دول العالم شرقًا وغربًا ، كما تحتل لوحاته أماكن بارزة في متاحف أوربا وأمريكا وموسكو ولينينجراد .

وفي أمريكا تضطر الشرطة إلى التدخل من أجل تنظيم حركة المرور أمام القاعة أو المتحف الذي يقيم عرضًا للوحات الفنان «فان جوخ» بسبب تزاحم الناس وإقبالهم على مشاهدة أعماله .. وتنتشر صور لوحاته في طبعات متلاحقة كما تواصل المطابع إصدار طبعات متتالية من الكتب عنه .

وفي دول العالم الثالث لا توجد لغة حية لم ينشر بها كتاب أو أكثر عن هذا الفنان فضلًا عن الأفلام السينمائية والتليفزيونية سواء التسجيلية أو الروائية التي تتناول حياته وفنه ، والتي أنتجت في أوربا وأمريكا وعرضها دور السينما ومحطات التليفزيون في كل بلاد العالم .

ولعل أهم سببين في شهرة هذا الفنان الواسعة في وقتنا الحاضر هما أسلوبه الشيق في الرسم ، وأحداث حياته الصاخبة أو المأساة التي عاشها ..

ولد فان جوخ في بلدة «زونديت» بهولندا عام 1853 ، وكان أبوه قسيسًا ، زرع في أعماق ابنه ، من خلال الجو الديني العارم الذي أحاطه في طفولته وصباه ، مُثلًا عليا

كانت تصطدم بالواقع في كل لحظة طوال حياته .

فلما بلغ السادسة عشرة أخذه عمه إلى (لاهاي) ليعمل معه في القاعة التي كان يديرها وتخصصت في بيع الأعمال الفنية ، سواء من الآثار القديمة أم من إنتاج الفنانين المعاصرين ، وكانت هذه القاعة تتبع مؤسسة «جوبيل» الشهيرة التي يقع مركزها الرئيسي في باريس . وهكذا تعرف فان جوخ على عالم الفن ، وتحمس لأعمال «رمبرانت» وبعض لوحات الفنانين الهولنديين وجماعة «باربيزون» ؛ لأنه تصور أنها تتغنى بحب الإنسانية .. وراح يناقش العملاء .. وبذل جهده في إقناعهم بشرائها ، وبلغ من نجاحه أن قررت المؤسسة نقله إلى لندن ليدير فرعها هناك .

وكان ناجحًا في عمله أنيقًا في هندامه ، إلى أن أحب فتاة اسمها «أرسيولا» وعندما طلب منها الزواج هزأت به وصدته في خشونة وصلف .. فأصابه نوع من الهوس الديني، وراح يحدث عملاءه عن الدين بدلًا من مناقشة جماليات اللوحات الفنية .

ونقلته الشركة إلى باريس حيث تدهورت حالته النفسية وانطوى على نفسه وأصابته الكآبة .. وقبل أن تقرر المؤسسة فصله ، كان قد قدم استقالته ، موطدًا العزم على تكريس حياته للخدمة الدينية .

واتجه إلى لندن ليعمل مدرسًا للغة الفرنسية .. ولكن جوها المظلم البارد الكئيب وذكريات جرحه العاطفي العميق جعلت حالته النفسية تزداد سوءًا ، فعاد إلى هولندا حيث قبلت أسرته أن تلحقه بمعهد لاهوتي في أمستردام ، وعكف على الدراسة الجادة ستة أشهر ، ثم لم يعد يطيقها ، وقرر أن يعمل واعظًا ومبشرًا بين عمال المناجم والفلاحين في إحدى قرى بلجيكا .

هناك عايش فان جوخ المرضى بحمى التيفود، وحاول تخفيف آلام الاحتضار عليهم، وسهر مع الفقراء والجرحى ، متخطيًا بذلك الحدود المرسومة له كمبعوث ديني ، إلى نوع من الامتزاج والتوحد الكلي في مهنته ، يقضي أيامه ولياليه بينهم لا يأكل إلا معهم ، ولا يخصص الوقت الكافي لراحته أو نومه ، كما وزع عليهم ملابسه

وأغطيته ، وأصبح يعاني البرد والجوع ، إلى الحد الذي جعل مظهره يتدهور فينام على القش ويتلطخ وجهه الأحمر بغبار الفحم الأسود . فكان جزاؤه على ذلك أن تعلق به هؤلاء العمال ، وطردته السلطات الدينية قبل أن يمر عام واحد على تسلمه هذا العمل ؛ لأنه لم تعجبهم طريقته في تطبيق التعاليم المسيحية على هذا النحو .

وزادت أزمته النفسية نتيجة إحساسه بالفشل: فشل كبائع للّوحات الفنية والتحف، وفشل في حبه ، ثم فشل كمدرس للغة الفرنسية ، وأخيرًا فشل كواعظ ديني بين عمال المناجم والفلاحين .

ولكنه ما لبث أن كتب إلى أخيه «تيو» يقول :

«إنني بالرغم من كل شيء سوف أنهض ثانية . سوف أتناول من جديد ريشتي، التي تخليت عنها في أيام انكساري ، وسأعود للرسم والآن يبدو لي كل شيء وقد تغير.. » .

وبدأت قصة رائعة من قصص الحب الأخوي ، فقد آمن الأخ بأخيه ، وأتاح ذلك «لفان جوخ» أن يخرج أعظم الأعمال الفنية .. فمنذ ذلك التاريخ ، لم ينقطع «تيو» ، طيلة السنوات العشر التالية عن بذل المعونة المالية لأخيه وتشجيعه ومساعدته ، بكل ما استطاع توفيره من دخله المتواضع .

وبعد أن بلغ فان جوخ السابعة والعشرين التحق بأكاديمية الفنون في مدينة «أنفري» وبدأ حياته في عالم الألوان، وعكف على رسم الفلاحين الهولنديين وعمال المناجم والبؤساء، مسجلًا كل ذكرياته التي نقشت في مخيلته ، في مجموعة من اللوحات الحزينة القاتمة ، القوية التعبير .

وتسمى هذه المرحلة في فنه بالمرحلة الهولندية التي استغرقت عامي 1854 - 1855.

وفي العام التالي رحل فان جوخ إلى باريس للإقامة مع أخيه في أستوديو بحي «مونمارتر» ، وكان أخوه «تيو» من تجار الصور متفتحي الذهن ، المهتمين بتتبع الاتجاهات الحديثة ؛ فقد كان مديرًا لفرع إحدى المؤسسات الفنية ، ومتخصصًا في تسويق لوحات التأثريين وخاصة لوحات «مونيه» و«بيسارو» و«ديجا».. وقد فرح فان

جوخ بصحبة أخيه، بعد ما قاساه طويلًا من وحشة وحرمان .. وسعد بحياته الجديدة في باريس ، فما لبث أن تغيرت ألوانه القاتمة المظلمة ، وحلت مكانها ألوان التأثريين الزاهية البراقة .

وراح يدرس النظريات والأساليب الفنية الجديدة ، ويناقش أصحابها ، في نشوة وحماس ، مجربًا هذه الأساليب في لوحاته ، كما تعرف في هذه الفترة على عدد من شباب الفنانين ، منهم تولوز لوتريك وبول جوجان .

وتأثرت لوحاته بالرسوم اليابانية المطبوعة .. ثم ظهرت تأثيرات تجارب زملائه المعاصرين على فنه .. وبعد مضيٍّ عام آخر كان قد استوعب كل ما حوله من تجارب وأصبح مقبلًا على مرحلة ناضجة خصبة استغرقت بقية حياته .

واستمرت إقامته الأخيرة في باريس عامين ، ثم تنبه فجأة أنه أصبح عالة على أخيه ، وفي فبراير عام 1888 عاد أخوه «تيو» ذات يوم إلى داره فوجده نظيفًا منظمًا مزينًا بالزهور واللوحات ، كما وجد رسالة من «فان جوخ» ينبئه فيها برحيله إلى مكان آخر فيه السماء أصفى والضوء أسطع ..

وسافر فان جوخ إلى بلدة «أرل» بمقاطعة بروفانس في جنوب فرنسا ، حيث الشمس الساطعة طوال النهار ، والألوان المتوهجة ، والدفء . وعكف خلال العامين التاليين على الرسم في غبطة وحماس فياض ، حتى لتبدو لوحاته في هذه الفترة وكأنها تشع حيوية في ألوانها وإيقاعها وشكلها .

ومع أنه كان يرسم بأسلوب لمسات الفرشاة المتعددة الألوان ، وهي الطريقة التي تعلمها أصلًا من التاثريين ، إلا أن لمساته كانت أعرض ، وأقوى ، وأشد انطلاقًا ؛ لأن هذه اللمسات كانت تهدف إلى غرض آخر غير النقل العقلي لتأثيرات الضوء ، فنشأ عنها تأثير مختلف على المشاهد ، بسبب ما بها من تعبيرية . وقد شرح طريقته في خطاب لأخيه يقول : **«إنني بدلًا من محاولة نقل الطبيعة بأمانة ، أستخدم الألوان بحرية ودون تقيد بالطبيعة من أجل التعبير عن نفسي تعبيرًا قويًا»** .

وفي هذه المرحلة دعا «بول جوجان» إلى الإقامة معه ، وهو يحلم بإنشاء رابطة للفنانين ، وبأن تكون داره هي نواة تحقيق هذا الحلم .

إلا أن وصول جوجان أعقبته المتاعب ؛ فالمناقشات احتدمت ، والخلاف في الرأي اتسع ، والنقاش لم ينقطع بينهما ، والصخب الذي كان يثيره جوجان أينما حل .. كل ذلك قد أدى إلى توتر أعصاب فان جوخ واستفزازها ..

ويقع الانفجار عندما سخر جوجان من فكرة إنشاء رابطة للفنانين ، وعندئذ قذف فان جوخ محتويات كأسه ، من النبيذ في وجه جوجان .. وبعدها أغمى على فان جوخ فحمله جوجان من المقهى إلى الدار وأرقده في فراشه .

وفي الصباح ندم فان جوخ وطلب من زميله الصفح ، ولكنهما ما لبثا أن عادا إلى الشجار بعد منتصف الليل ، وخلال غضب جنوني أخرج فان جوخ «موسي حلاقة» وشهره على جوجان ، وجرى وراءه في شوارع البلدة محاولاً قتله .. ولكنه بعد فترة أفاق إلى نفسه وعاد إلى بيته في حالة من التمزق العنيف .. ورحل جوجان .. بينما حالات الهياج الجنوني عاودت فان جوخ .. حتى قام في إحداها بقطع أذنه وربط رأسه المصاب ثم قدم الأذن المقطوعة في لفافة إلى محبوبته التي طلبت أذنه خلال إحدى مداعباتها له ..

وعندما استرد صحته طاردته أنظار أهل البلدة وصيحات أطفالها .. فانهارت أعصابه ولم يجد أخوه بدًا من نقله إلى مستشفى للأمراض العقلية بالقرب من «آرل».

وقد مكث «فان جوخ» عامًا في هذا المستشفى ، وسمح له بالرسم ، وظهر في لوحات هذه المرحلة شيء من عنف نوبات الصرع التي تعرض لها .. وعندما نجح أخوه في بيع إحدى لوحات «فان جوخ» بمبلغ 400 فرنك ، اقترح أن يستخدم هذا المبلغ في الاستشفاء بمصحة خاصة قرب باريس ، يشرف عليها طبيب يدعى الدكتور «جاشيت» وهو من هواة الفن .. وقد أمضى هذا الطبيب أوقاتًا طويلة في صحبته ..

ولكن نوبات الصرع راحت تتوالى بانتظام ، وسئم فان جوخ الحياة ، فخرج إلى حقل مجاور وأطلق على نفسه الرصاص ، ولكنه لم يمت على الفور ، ونقله «تيو» إلى المستشفى التي مات بها بعد يومين وهو لم يتجاوز السابعة والثلاثين بعد أن رسم أكثر من 700 لوحة وما يربو على ألف رسم .

إن كل هذه الثروة الفنية أنجز معظمها خلال السنوات العشر الأخيرة من عمره بين عامي 1880 - 1890 بعد أن تخبط حتى سن السابعة والعشرين في محاولات متتالية فاشلة.

والواقع أن مكانة فان جوخ في تاريخ الفن ترجع إلى توصله إلى الأسلوب التعبيري قبل أن يظهر في ألمانيا .. فلوحاته مشحونة بقوة التعبير عن ذاتية الفنان وما يعتمل فيها من صراعات ، ثم توصله إلى التعرف على ما تتضمنه الألوان من طاقة تعبيرية، مع استخدام ضربات الفرشاة واتجاهات الخطوط والمساحات الملونة من أجل التعبير عن انفعالات الفنان أو أعماق الشخصيات التي يرسمها ... هذا العطاء المتعدد الدرجات والوسائل في اللوحة الواحدة وضع أعماله على قمة أعمال الفن الفرنسي خلال القرن الماضي .

وقد فطن الفنانون الأذكياء من بعده إلى أثر «الحدث» في حياة الفنان ، وكان بيكاسو يتبع أسلوبًا في الدعاية لأعماله يعتمد على «الحدث» ، والتصرفات الشاذة ، والرسوم الغريبة ، والتصريحات الاستفزازية . كما أن «سلفادور دالي» الفنان الأسباني «السيريالي» الأسلوب قد أجاد افتعال الحدث الملفت حتى أصبحت تصرفاته أشهر من معظم لوحاته .

سرقة لوحة «روبنز» من متحف الجزيرة !!



صورة لوحة روبنز بمتحف الجزيرة (انظر اللوحات الملونة)

سرقة لوحة «روبنز» من متحف الجزيرة

اكتُشف يوم الخميس 15 مارس عام 1967 اختفاء لوحة «ذات الوجهين» للفنان العالمي البلجيكي الجنسية «روبنز» ، من متحف الجزيرة بسراي النصر في أرض المعارض (أرض الأوبرا الآن) بالقاهرة . وقد وضع اللصوص مكانها لوحة أخرى من نفس لوحات المتحف كانت معلقة على حائط آخر مزدحم بالصور بالقرب من مكان اللوحة المسروقة .. ثم نزعوا عنها إطارها في سرداب مظلم تغطي بابه ستارة حمراء ..

وقد عثر على إطار اللوحة في السرداب المظلم . في حين اختفت اللوحة التي كانت بداخل هذا الإطار ، والتي لا تزيد مساحتها على 15 × 20 سنتيمترًا . وقدر ثمنها بحوالي 100 ألف جنيه إسترليني في ذلك الوقت .

إجراءات ما بعد السرقة

كانت اللوحة ضمن ممتلكات الملكة نازلي والدة الملك فاروق . وهي مرسومة بالألوان الزيتية على قماش ، وكانت الملكة نازلي قد اشترتها بخمسة آلاف جنيه ، وتم الاستيلاء عليها ضمن محتويات القصور المصادرة ، وتم ضمها إلى المتحف ضمن 7 لوحات صودرت من قصور الأسرة الملكية ، وقد قدر الخبراء ثمنها عندما سرقت عام 1967 بمبلغ مائة ألف جنيه إسترليني . بينما قدر ثمنها عند ضمها

للمتحف بمبلغ 40 ألف جنيه ، وهي اللوحة الوحيدة للفنان العالمي «روبنز» بمتاحفنا حتى ذلك التاريخ .

وكانت اللوحة معروضة في الصالة الفرعية رقم 12 بمتحف الجزيرة الذي يشغل الطابق الثاني بسرايا النصر بأرض المعارض بالجزيرة (أرض الأوبرا الآن) .

وقد ظلت اللوحة معروضة في هذا المكان لمدة ست سنوات حتى أبلغ أمين المتحف، الشرطة باختفاء اللوحة من مكانها .

وتم إبلاغ البوليس الجنائي الدولي بسرقة اللوحة بعد طبع صور عديدة لها من النيجاتيف الذي التقطه الفنان عبد الفتاح عيد للوحة قبل ضياعها .

كما تم الاتصال بمتاحف العالم وصالات مزادات بيع التحف الفنية لسد الطريق أمام السارق الذي يحتمل أن يحاول بيعها في الخارج .

وكان متحف الجزيرة (وهو مغلق الآن) يقع حول القبة «السماوية» التي كانت تقدم عروضها للجمهور في «سراي النصر» بأرض الجزيرة (نقلت القبة السماوية إلى مكتبة الإسكندرية حاليًا) ، وكان مدخل المتحف لزواره من الجمهور هو مدخل رواد عروض القبة السماوية نفسه ، وهذا جعل اللص يندس بين جمهور المتحف والقبة السماوية بحيث يصعب حصر السرقة بين عدد محدود .

أصدرت النيابة أمرًا بالقبض على 12 من أمناء المتحف والعمال الذين يعملون في الفترة المسائية بعد القبض على مدير المتحف وصديقه الذي كان يتردد عليه .. وأمرت بإغلاق أبواب المتحف . وجرت عملية بحث دقيق عن اللوحة في أجزاء المتحف وخلف اللوحات لاحتمال أن يكون السارق قد لجأ لإخفائها داخل المتحف . فعُثر داخل حجرة مظلمة مهجورة لها مدخل على صالة العرض تغطيه ستارة حمراء .. على برواز اللوحة المسروقة . واتجه التحقيق نحو أمناء المتحف والموظفين ، وقامت المباحث بتفتيش منازلهم ، وقام خبراء تحقيق الشخصية برفع البصمات من مكان اللوحة المسروقة .

جنون أسعار اللوحات الفنية

تحقق اللوحات الفنية أرقامًا خيالية في المزادات العالمية ؛ لأن هواية اقتناء الأعمال الفنية هي هواية الأغنياء الذين يتنافسون على امتلاك أغلى اللوحات وأكثرها شهرة .

ورغم احتياطات الأمن والتكنولوجيا الحديثة فإن اللصوص يتوصلون دائمًا إلى طرق مبتكرة للتغلب عليها والتوصل إلى كيفية تعطيل هذه الأجهزة الأمنية الدقيقة. وتعاني فرنسا أكثر من بقية الدول الأوروبية من هذه الجرائم ؛ فهي تملك عددًا ضخمًا من المتاحف على رأسها متحف اللوڤر الذي يضم لوحات نادرة . وفي عام 1990 سرقت 3 لوحات فنية مهمة هي (وجه امرأة) من رسم «رينوار» وقد سرقت من متحف اللوڤر خلال النهار ، وبعد عدة ساعات من هذه السرقة اختفت لوحة تسمى (فتاة صغيرة) وترجع إلى القرن التاسع عشر للفنان «إيرنست هيبرت» من متحف يتبع أحد البنوك . وفي الوقت نفسه سرقت لوحة «منظر طبيعي» ترجع لعام 1816 من أحد المتاحف الفرنسية (متحف كرنافاليت) .. وأعلن متحف اللوڤر عام 1990 عن اختفاء 12 قطعة من المجوهرات التاريخية الثمينة.

وقد قدرت السلطات الثقافية والأمنية في فرنسا أن قيمة اللوحات والتحف التي سرقت خلال عشر سنوات (1980 حتى 1990) تقدر بمبلغ 500 مليون فرنك فرنسي. وأهم هذه اللوحات هي للفنانين «رينوار» و«مونيه» و«بيسارو» و«تولوز لوتريك» و«مارك شاجال» .

المهم أن بعض اللوحات المسروقة ترجع قيمتها إلى مكانتها في تاريخ الفن ، وليس فقط لقيمتها المادية المرتفعة .

وتقوم السلطات بإعداد خطط أمنية أحدث ، لكن للأسف كلما زادت تعقيدات التكنولوجيا الحديثة في الأمن ، زادت معها مهارة اللصوص في السرقة .

لوحات بالملايين

ذكرت الصحف منذ فترة أن لوحات «فان جوخ» و«بيكاسو» تتصدران أسعار البيع للّوحات المعروضة في صالتي «سوثبي» و«كريستي» للمزادات في نيويورك .. أبرز اللوحات المعروضة تنتمي للفن التأثري الذي تألق في الربع الثالث من القرن التاسع عشر. ويتوقع الخبراء أن تكون حصيلة هذه اللوحات المعروضة للبيع ما بين 142 مليون إلى 197 مليون دولار .

من بين اللوحات التي كانت معروضة للبيع لوحة لبيكاسو اسمها («دورا مار» مع القطة) وهي لوحة نابضة بالحياة رسمها الفنان عام 1941 بألوان زيتية على قماش وقد صور فيها عشيقته وملهمته : «دورا مار» وهي جالسة في مقعد وخلفها قطة صغيرة .

وفي صالة كريستي للمزادات عرضت لوحة «لفان جوخ» رسمها عام 1890 وهي تصور وجه صاحبة مقهى في ضاحية آرل واسمها «مدام جينو» .. وصل ثمنها في المزاد إلى مبلغ 53 مليون دولار .

وقد أعلنت جريدة الديلي إكسبريس اللندنية في شهر مارس عام 1967 تحت عنوان «لوحات بمليون جنيه إسترليني للأساتذة القدامى تعرض للبيع على أمريكا».

وهذه المجموعة تتكون من ثماني لوحات لروبنز مع 32 لوحة لفنانين آخرين .. ويركز الموضوع المنشور في الجريدة على لوحات روبنز ، وهذا يؤكد أن المليون جنيه أخذت لوحات روبنز الجانب الأكبر منها .

ويقول صاحب هذه المجموعة إنه لا يتوقع أن يجد في إنجلترا من يستطيع شراءها جملة واحدة فهو يريدها أن تبقى مكتملة العناصر كمجموعة .. ومع ذلك فهو مستعد للتساهل في الثمن إذا كان الشاري إنجليزيًّا وسيحتفظ باللوحات كلها في إنجلترا .

المزاد الذي شاهده محسن محمد

وقد حكى الصحفي الكبير محسن محمد في جريدة الجمهورية عن أغرب وأغلى

مزاد في العالم شهده في لندن عام 1987 عندما بيعت فيه خلال أربع دقائق إحدى لوحات «فان جوخ» السبعة التي تصور زهور «عباد الشمس» بمبلغ 36 مليون دولار (بعد ذلك وصلت أسعار لوحات هذا الفنان إلى 54 مليون ثم 82 مليون دولار) .

قال : داخل القاعة جلس ستمائة من كبار الأثرياء هواة اقتناء اللوحات الفنية . الجميع جاءوا بدعوات وكلهم سجلت أسماؤهم ، فهم لا يدفعون ثمنًا عندما يشترون بالملايين . بل يكفي هزة رأس أو إشارة بأصبع لرفع الثمن بالآلاف وعشرات الآلاف. ثم يوقعون بعد رسو المزاد على إقرار بالشراء .

وهناك أجهزة تليفونات وقف بجوارها موظفون من شركة كريستي يتصلون بهواة جمع التحف الذين يريدون الشراء ولا يرغبون في الحضور للإفصاح عن شخصياتهم.

وتسجل شرائط التسجيل أصواتهم حتى لا يستطيع أحدهم التراجع عن كلمته . فيضيع مستقبل موظف يعرض ملايين لا يملكها ، لشراء لوحة .

وخلال ساعة رأيت كيف بيعت لوحات الفنانين الذين عاشوا فقراء وتركوا ثروات تقدر بالملايين ؛ رسم «تولوز لوتريك» غلافًا بالقلم الرصاص لمجلة فنية شهرية بيعت بمليون دولار .. و«ماري كاسات» رسمت لوحة لطفلة تحتضن كلبًا فارتفع ثمن اللوحة إلى أكثر من مليون دولار ، وميناء الصيد كما تخيله «ديران» ارتفع ثمن لوحته من 800 ألف جنيه إسترليني إلى 2.200.000 ، وصبية بملابس سوداء لموديلياني بيعت بـ 2.640.000 جنيه إسترليني ، وكان الثمن الأصلي نصف مليون فحسب ، ثم جاء دور اللوحة الأخيرة.

رفع اثنان من العمال اللوحة وعلقاها ليراها المشترون .

اللوحة ارتفاعها 39 بوصة وعرضها 30 بوصة وتصور زهور عباد الشمس التي رسمها الفنان «فان جوخ» في جنوب فرنسا منذ 110 سنوات في أستديو أقامة لزميله الفنان جوجان ، وهي إحدى سبع لوحات لزهور عباد الشمس . أما السبب في ذلك

فهو أن الزهور تذبل بسرعة ، وكان يريد الإتقان ولم يكن يملك المال لشراء الزهور ، وفي المرة الأخيرة بالنسبة لهذه اللوحة بالذات رسمها من الذاكرة !

بدأ المزاد بالثمن المعروض وهو خمسة ملايين جنيه إسترليني دفعة واحدة ، وهو الثمن الذي قدرته مالكة اللوحة والتي ورثتها عن جدها .

تقدم للشراء 11 متزايدًا من 15 دولة .. ومن اللحظة الأولى كان كل راغب يرفع الثمن لا عشرة آلاف أو عشرين ألفًا من الجنيهات بل نصف مليون جنيه إسترليني دفعة واحدة .

وفي 10 ثوانٍ ارتفع الثمن إلى 8.1 مليون . وخلال دقيقة واحدة ارتفع إلى 13 مليونًا.

وتوقف بعد دقيقتين كل المشترين في القاعة الرئيسية وقاعتين أخريين متصلتين بميكروفونات ، وأجهزة لاسلكية ، وشاشات تليفزيون ، وكاميرات ، تنقل كل ما يجري إلى القاعتين .. وبقي أربعة متزايدين يرفعون الثمن بالتليفون ويبلغونه إلى موظفي كريستي.. ولم يعرف أحد داخل القاعات الثلاث من المتكلم ، وأين يوجد ، وهو يرفع الثمن نصف مليون جنيه في كل مرة بهزة قلم أو إيماءة لا يلحظها أحد سوى الرجل الذي يجري عملية المزاد .. وتوقف من الأربعة المتزايدين اثنان .. لم يستطيعوا رفع السعر .. وبقي على التليفون اثنان مجهولان .. توقف أحدهما وبقي الآخر المجهول الذي لم يعرف اسمه ؛ ليعلن أحد الموظفين شراء اللوحة بمبلغ 24.750.000 جنيه إسترليني بما في ذلك عمولة كريستي ، وعلى الفور وبعقل إليكتروني ظهر على لوحة ضخمة الثمن بالفرنك السويسري ، والفرنك الفرنسي ، والين الياباني ، والمارك الألماني ، والدولار. كما يحدث في كل لوحة فإن الثمن يحول فورًا إلى العملات الست .

قالت اللوحة الإلكترونية : إن الثمن 39.217.500 دولار بما في ذلك عمولة كريستي .. وأعلن بيت كريستي عقب انتهاء المزاد أن المشتري أجنبي فصفق الحاضرون للمشتري المجهول .

بدأ النقاد والصحف يتكلمون عن الغريب الذي اشترى اللوحة ، وذكرت عشرات الأسماء لأصحاب الملايين الذين يملكون ناقلات البترول في اليونان وهواة جمع التحف في الولايات المتحدة .

وقيل إن اللوحة ستبقى في حيازة إنسان غير معروف سيخاف على اللوحة ، ويكتفي بعرضها على زوجته وأولاده ويتأملها كما يفعل البخلاء الذين يقومون بإحصاء أموالهم بين الحين والحين .. ووقف مندوبو الصحف عند أبواب «كريستي» يراقبون اللوحات الخارجة فوجدوا صندوقًا ضخمًا يخرج إلى حيث لا يدري أحد .

وظل مندوبون آخرون في مطار هيثرو بلندن يراقبون البضائع عند شحنها والمسافرين .. فقال لهم موظف في شركة «كريستي» :

لقد وضعنا اللوحة في بطانية ثم في صندوق خشبي وأمَّنا عليها بمبلغ ضخم خوفًا من الغرق والحريق وسقوط الطائرات .

سئل : وما اسم شركة التأمين ؟

قال الموظف : معذرة لا أستطيع الإفصاح .. إنها شركة تأمين عالمية تستطيع دفع ثمن اللوحة كاملًا .

وأضاف :

- سمحت الحكومة بتصدير اللوحة ؛ لأن كل متاحف بريطانيا لا تستطيع بميزانياتها مجتمعة دخول هذا السباق الجنوني ودفع ثمن اللوحة .

ولم يفهم الصحفيون حديث الموظف، أو لم يستطيعوا التقاط السر الذي أشار إليه الموظف تلميحًا ، فقد أعلن بعد أسبوع أن المشتري المجهول هي شركة تأمين يابانية بحرية.

ومما يذكر أن لوحات «عباد الشمس» الست الأخرى التي رسمها فان جوخ اشترت 4 منها متاحف في لندن وميونيخ وفيلادلفيا وأمستردام .

واحتفظ ثري أوربي غير معروف باللوحة الخامسة .

أما اللوحة السادسة فكانت في مدينة يوكوهاما اليابانية ، ولكنها دمرت مع ما دمر من المباني اليابانية أثناء الحرب .. ورغبت شركة التأمين في تعويض اللوحة الضائعة التي كانت باليابان .. بهذه اللوحة الجديدة التي سجل ثمنها أكبر الأرقام ارتفاعًا في سوق اللوحات الفنية في العالم على امتداد التاريخ .

لقد كان «جوخ» يزمع أن يزين بأغلى لوحة في العالم حجرة نوم زميله «جوجان» عندما زاره قبل شهور من انتحاره فقرًا وجنونًا وكان يقدر ثمنًا للوحته دولارًا أو دولارين على الأكثر .

(انظر اللوحة الملونة 5)

من هو روبنز

الفنان روبنز كان من أشهر رسامي المدرسة الفلمنكية التي تضم الآن بلچيكا وهولندا .. فكان رسامًا بارعًا وعلمًا وسياسيًّا .. ويعتبر من أشهر رسامي الأجسام العارية، وخاصة أجسام النساء البدينات والأطفال ، فقد كانت الأجسام التي يرسمها يشع منها النور وتتفجر بالحيوية وتضج بالحياة والحركة .

ولم يعرف تاريخ الفن إنتاجًا غزيرًا لفنان واحد مثل إنتاجه ؛ إذ بلغ عدد ما تم حصره من لوحاته ، أكثر من ألفي لوحة تقريبًا موزعة على متاحف العالم والمجموعات الخاصة . فقد كان (روبنز) يدير مرسمًا كبيرًا يضم عددًا من المساعدين الذين كانوا يجهزون له لوحاته بعد أن يضع تصميماتها ، ثم يضع لمساته الأخيرة فوقها ، ومن أشهر تلاميذه الذين عرفوا فنيًّا من بعده الرسام الشهير (فان ديك) .

ومعروف أن متحف بروكسل ببلچيكا وجه إعلانًا لأصحاب المجموعات الخاصة، أنه مستعد لدفع أي مبلغ من أجل استكمال مجموعة لوحات «روبنز» التي يضم المتحف معظمها .

وينحدر (روبنز) من أسرة من الطبقة الوسطى .. كان جده دباغًا للجلود في

هولندا وكان والده متخصصًا في القانون وقد شغل عدة مناصب إدارية .

وكانت بلاد الأراضي المنخفضة (التي تضم هولندا وبلچيكا الآن) تحت الحكم الأسباني ، واضطر أبوه تحت الضغط السياسي والديني الأسباني أن يغادر البلاد وينزح إلى (كونوني) لاتهامه باعتناق المذهب البروتستانتي (أتباع كالڤن) .. وهناك صادفته متاعب أكثر .

واستقرت الأسرة في «وستفاليا» حيث ولد روبنز سنة 1577 (وتوفي عام 1640) وبعد وفاة أبيه عادت الأسرة إلى (انتيورب) وهناك استطاع الغلام الصغير وعمره 14 سنة أن يحصل على وظيفة ضيف شرف في بلاط الأميرة أرملة الحاكم السابق .. وهكذا بدأت حياته في القصور والسياسة .

وقد التحق بمرسم أحد أقربائه حيث تلقى مبادئ الرسم .. ثم انتقل إلى مرسم الفنان (اتوفان فاين) حيث استكمل دراسته وحصل على الاعتراف به كرسام محترف .

وسافر إلى إيطاليا ؛ ليتدرب على نسخ لوحات مشاهير الفنانين أمثال (تيتيان) و(فيرونيز) .. وهناك لفت أنظار الدوق الذي أعجب به وألحقه في خدمته ووثق فيه إلى حد أن أرسله في مهمة رسمية عام 1603 إلى الملك فيليب الأول ملك أسبانيا ، ومعه هدايا من اللوحات الفنية والخيول الأصيلة .

عاد إلى (انتيورب) سنة 1608 ؛ حيث عين رسامًا في بلاط الحاكم .. وبعد وفاة الحاكم أصبح (روبنز) المستشار الأول للأميرة الحاكمة ، التي أرسلته سفيرًا لها في عدة مهام رسمية إلى ملوك إنجلترا وفرنسا وأسبانيا .. وكان ذلك سببًا في ازدياد شهرته كسفير فوق العادة وكرسام من ألمع فناني عصره .

كان شعلة من النشاط والحيوية والذكاء ، ويقال إنه كان يستطيع أن يرسم بالألوان، ويتحدث مع ضيوفه ، ويقرأ الرسائل ، ويرد على الخطابات .. كل ذلك في وقت واحد .

وقد بلغت ثقة الملك فيليب الرابع ملك أسبانيا بالفنان الكبير أن جعل منه ممثلًا

شخصيًّا له لدى (شارل الأول) ملك إنجلترا ؛ ليكون واسطة في تدعيم السلام بين إنجلترا وأسبانيا .

ويقال إنه بينما كان يرسم إحدى لوحاته الضخمة ليهديها إلى ملك إنجلترا ، تقدم إليه أحد رجال القصر وسأله : «هل يقوم سفير ملك أسبانيا بتسلية نفسه بالرسم أحيانًا؟».. فأجابه روبنز : «بالعكس .. فإني أسلي نفسي بأن أكون سفيرًا أحيانًا» .

وقد اشتهر روبنز برسم النساء العاريات من زوايا مختلفة ، ومعظمهن من صديقاته ؛ إذ إنه تزوج خمس مرات غير العديد من صديقاته .

فيلم «كيف تسرق مليون دولار»

أكدت وسائل الإعلام أن الطريقة التي اتبعها (لصوص لوحة روبنز) في سرقتها من متحف «الجزيرة» بالقاهرة قد استوحوا فكرتها من الفيلم الأمريكي (كيف تسرق مليون دولار) الذي عرض بالقاهرة قبل حادثة السرقة بشهور . كما أن المكان الذي نزعوا فيه اللوحة من إطارها خلف الستارة الحمراء يذكرنا بحجرة أدوات النظافة في الفيلم التي اختبأ فيها اللصان داخل المتحف حتى تم إخلاؤه من الزوار والحراس .

فيلم «كيف تسرق مليون دولار» هو إنتاج أمريكي عام 1966 إخراج «وليم وايلر» وتمثيل «أودري هيبورن» و«بيتر أوتول» وقد عرض في القاهرة في أواخر عام 1966 .

يحكي الفيلم قصة ابنة ثريٍّ فرنسيٍّ يقوم بتزييف نسخ متقنة من الأعمال الفنية الشهيرة .. فوجئ بأن المتحف المحلي في مدينته قرر أن يبيع تمثاله المزيف عن عمل للنحات الإيطالي «تشيلليني» بمبلغ مليون دولار وأنه تقرر استدعاء أحد الخبراء في فن تشيلليني من إيطاليا ليقدم شهادته عن هذا التمثال . وقام المتحف بالتأمين على التمثال بمبلغ مليون دولار طوال فترة عرضه بالمتحف حتى بيعه ..

قررت ابنة المزيف الثري الجميلة «نيكول» أن تسرق التمثال قبل وصول الخبير الإيطالي فيكتشف أنه مزور فأرسلت تستدعي «سيمون» الذي اشتهر بخبرته في

تأمين التحف وكان في السابق يعمل في سرقة المتاحف .

هذا الخبير هو نفسه مندوب شركة التأمين الذي جاء ليحمي التمثال ويصون أموال شركة التأمين من تعرض التمثال للتلف أو الضياع .

واستطاعت الابنة أودري هيبورن بجمالها ورقتها أن تستولي على قلب خبير شركة التأمين «بيتر أوتول» فأخذ يتدرب على لعبة الطبق الطائر الذي يلف في الهواء ثم يعود إليه بعد أن يقوم بجولة في الفراغ استخدمها في قطع تيار الضوء المتصل بأجهزة الإنذار في المتحف.. واختبأ مع «نيكول» في حجرة لحفظ أدوات النظافة بالمتحف حتى تم إغلاق المتحف ليلًا بعد إخلائه من الزوار . وخرج من مكانه ليلقي الطبق الطائر في طريق تيار الأشعة المسلطة على التمثال لتدق أجراس الإنذار في المتحف وفي قسم الشرطة ويصل إلى مكان عرض التمثال كل المكلفين بحراسته .. بينما يكون اللص والفتاة قد دخلا حجرة النظافة وأغلقاها على نفسيهما من الداخل .

وعند التأكد أن التمثال لم يُمس وأن كل شيء في مكانه يعود الجميع إلى أماكنهم، يخرج مرة ثانية وثالثة ويلقي الطبق في طريق شعاع الضوء فتدق الأجراس ويحضر الحراس ليتصوروا بتكرار الإنذار أن هناك خللًا في جهاز الإنذار فيقوموا بتعطيله .. ويعرف اللص أن الملل أصاب الحراس وعطلوا الجهاز فيأخذ التمثال ويعطيه للفتاة ، ويفقد وظيفته في شركة التأمين ويسافر معها في رحلة شهر العسل .

إحصائيات عن لصوص المتاحف

نشرت الصحف الأمريكية عام 1967 خلال حملة الدعاية لفيلم - كيف تسرق مليون دولار - بعض الحقائق والإحصائيات حول السرقات من المتاحف ومجموعات الآثار .. فذكرت أن عدد المتاحف في العالم يبلغ 12 ألف متحف .. يدخلها كل عام حوالي 220 مليون متفرج .. وقد دفعت هذه الحقائق المسئولين عن المتاحف إلى الاهتمام بحمايتها بواسطة اختراعات وأجهزة لاسلكية وإلكترونية تكشف اللصوص

وتحرس المعروضات حراسة دائمة .. حتى توصلت في أحد المتاحف إلى تركيب جهاز في كل لوحة لا يعرف سره إلا المسئولون عن المتحف ، وهذه الأجهزة ذات حساسية بالغة وتقوم بتنبيه الحراس عندما يقترب من اللوحة أي شخص ، وهناك متاحف تستخدم أجهزة تقوم بدق الأجراس وإغلاق الأبواب آليًا بمجرد توقف الحراس عن المرور أمام التحف التي يحرسونها.

ومع هذا يقدر عدد اللوحات والتحف التي يستولي عليها لصوص المتاحف في أمريكا وحدها ، بما يصل إلى ثلاث أو أربع قطع نادرة يوميًّا .

أما متحف اللوڤر فيستخدم جهازًا يتكلف تشغيله 9 آلاف جنيه يوميًّا لحماية مقتنياته.

وقد تلقت الشرطة الجنائية الدولية للمتاحف خلال الفترة من 1960 حتى 1965 بلاغات من 14 دولة عن وقوع سرقات من المتاحف والكنائس ومباني الفنون المتاحة للجمهور .. وهي نفس الهيئة التي أبلغها الدكتور ثروت عكاشة بفقد لوحة - روبنز - عام 1967 وقدم لها صورتها الفوتوغرافية .

في عام 1960 سرقت من أحد متاحف كندا 32 صورة كان أهمها 7 لوحات - لرمبرانت .

ومن فرنسا سرقت 73 صورة منها 8 لوحات - لسيزان - من بينها لوحة - لاعبو الورق - الشهيرة التي اختفت في أغسطس 1961 من متحف ايكس آن بروفانس - .. وأعيدت بعد عام . ومن بلچيكا 9 صور منها لوحة - رؤوس زنجية - لروبنز سرقت من متحف الفن القديم في بروكسل في فبراير عام 1964 وأعيدت في اليوم التالي بالإضافة إلى - أيقونتين - إحداهما من روائع الفن البيزنطي .

ومن النمسا ضاع 34 تمثالًا ، وصورتان .

ومن إيطاليا 100 تمثال وتحفة فنية .

ومن الهند 16 تمثالًا .

وتعتبر لوحة الفنان - ليوناردو دافنشي - الموناليزا أو الچيوكندا - التي يبلغ عمرها 450 سنة .. أكثر اللوحات إغراء للصوص ؛ لأنها لا تقدر بثمن ، وقد سرقت مرة واحدة من متحف - اللوڤر - بفرنسا عام 1911 وعثر عليها في إيطاليا بعد عامين وهي محفوظة حاليًّا داخل لوح من الزجاج الذي لا ينفذ فيه الرصاص ، وتستخدم في حراستها أجهزة التليفزيون التي ترسل صورتها بشكل دائم إلى مركز المراقبة الرئيسي .

السرقات من المتاحف

وهكذا نجد أنه قد تعددت حوادث سرقة اللوحات الثمينة من المتاحف العالمية ، ومن المقتنيات الخاصة بالرغم من الحراسة المشددة والرقابة الدقيقة التي تحيط هذه التحف الفنية .

ومن أكبر حوادث السرقة الشهيرة ذلك الذي حدث في لندن يوم 21 أغسطس عام 1966 عندما سرقت لوحة الفنان الأسباني الشهير (جويا) التي رسم فيها صورة (الدون ولنجتون) وهو القائد الذي انتصر على نابليون في معركة (ووترلو) .. وكان المتحف القومي في لندن قد اشترى هذه التحفة النادرة من مليونير أمريكي بمبلغ 140 ألف جنيه إسترليني ؛ لكي لا تخرج من إنجلترا إلى أمريكا .. وكان هذا المليونير قد اشتراها من أحد المزادات .

وقامت الدنيا في ذلك الحين وأعلن البوليس مكافأة قدرها خمسة آلاف جنيه إسترليني لمن يرشد البوليس إلى مكان اللوحة ، أو يقدم معلومات عن اللصوص الذين أرسلوا مذكرة إلى المسئولين بالمتحف يطلبون فيها 140 ألف جنيه لرد اللوحة، ويزعمون أنهم سينفقون هذا المبلغ على الفقراء والمؤسسات الخيرية .. وتشاء الصدفة أن يعثر على هذه اللوحة الثمينة كلب يملكه أحد المواطنين في محطة قطار - برمنجهام - بعد 4 سنوات، فتعود إلى مكانها بالمتحف . دون دفع أية مبالغ

وقبل ذلك بفترة سطا اللصوص على المتحف البريطاني ، وسرقوا 35 لوحة تقدر بنصف مليون جنيه ، وأمكن استعادة عشر لوحات منها بعد مكالمة تليفونية من مجهول.

وفي فرنسا وقعت حادثة سطو سنة 1961 ، انتهز فيها اللصوص انشغال الناس بالاحتفال بعيد الثورة الفرنسية (14 يوليو) ، وتسللوا إلى متحف (أنونسياد) الشهير بمدينة (سان تروبيز) وسرقوا 57 لوحة ، يقدر ثمنها بأكثر من نصف مليون إسترليني .

وفي أمريكا ضبطت أربعة اسكتشات (أي رسوم سريعة) من أعمال الفنان (سيزان) كان أحد الفنانين الأمريكان يحاول بيعها إلى إحدى المكتبات الفنية ، وكانت هذه الرسوم قد سرقت من متحف اللوفر قبل ثماني سنوات من تاريخ عرضها للبيع .

وقد عثر في باريس بمنزل أحد المواطنين اليوغسلاف على لوحات نادرة من رسم الفنانين (كلود مونيه) و(بيسارو) و(رينوار) ، قدرت قيمتها بمليون جنيه ، وكانت هذه التحف قد سرقت من منزل سفير بوليفيا في باريس يوم 6 سبتمبر عام 1962 .

سرقة متحف لندن

وقد وقع حادث متحف لندن في ليلة رأس السنة عام 1967 عندما قام اللصوص بكسر أحد أبواب المتحف الملحق بمعهد - دولويتش - أقدم متاحف بريطانيا ، والكائن على بعد سبعة أميال من قلب لندن - وذلك بأن أحدثوا في أحد الأبواب 40 ثقبًا بواسطة مثقاب يخرم الخشب ، فأحدثوا فتحة بأحد ألواح البلوط السميكة تسمح بمرور شخص نحيف الجسم .

وهكذا تمكنوا من دخول المتحف أثناء احتفالات رأس السنة دون أن تدق أجراس الإنذار ، وسرقوا ثماني لوحات منها ثلاث لوحات للفنان البلچيكي روبنز - وثلاث للفنان الهولندي «رمبرانت» .

وكانت هذه السرقة هي ثاني محاولة للسطو على لوحات هذين الفنانين العالميين

من متحف – دولويتش – وقد وقعت الأولى قبل هذه السرقة بأربع سنوات ، ولكنها فشلت وقدر ثمن اللوحات الثماني بمبلغ 2.5 مليون جنيه إسترليني ، كما كانت المسروقات متوسطة المساحة وأكثرها أهمية هي لوحة «روبنز» «الثلاثة يرقصون» وهي مرسومة على خشب أبلكاش هش وقابل للكسر ومن نفس نوع الخشب الذي رسمت عليه لوحة «ذات الوجهين» التي اختارها لصوص متحف الجزيرة بالقاهرة .

ويلاحظ أن البوليس الإنجليزي قد عثر على بعض هذه اللوحات بطريقة مشابهة للطريقة التي عثرنا بها على لوحة روبنز .. فبناء على مكالمة تليفونية من مجهول توصل البوليس الإنجليزي إلى مكان ثلاث لوحات ، وجدت ملفوفة في كيس نظيف بعناية فائقة ومدفونة خلف شجرة في إحدى حدائق لندن .

ولكن إدارة أسكوتلند يارد لم تعلن رسميًّا عن طريقة العثور على اللوحات ولم تقدم اللصوص للمحاكمة واكتفت بإعلان أن المسروقات الثمينة قد وجدت .

وقد اعتبر هذا الحادث أخطر حادث وقع بعد حادث – بافاريا – عام 1945 عندما سطا الجنود الأمريكيون وبعض المدنيين الألمان على خزائن النازي في نهاية الحرب العالمية الثانية واستولوا على ما فيها من ذهب وأحجار ثمينة ولوحات فنية وأموال طائلة.

ومن السرقات الكبيرة التي حدثت عام 1966 حادثة متحف – ميزانشون – في فرنسا ، وقد قدرت المسروقات بمبلغ مليون جنيه ثم حادث سرقة متحف أوهارا بلندن في يوليو عام 1966 وقدرت المسروقات بمبلغ 350 ألف جنيه إسترليني وجميعها لم يعثر عليها.

محاولات سرقة فشلت

في عام 1978 قبض البوليس في القاهرة على أربعة شبان ، كان يحاول أحد العائدين من الخارج إقناعهم بتكوين عصابة لسرقة بعض اللوحات من متحف

محمود خليل -عندما كان مقامًا بالزمالك- وكانت لوحة زهرة الخشخاش للفنان الهولندي (فان جوخ) إحدى اللوحات المطلوبة .. وأظهر التحقيق أن هناك تجارًا في أوربا مستعدين لدفع أي ثمن مقابل الاستيلاء على هذه اللوحات ..

وفي أيرلندا تمكن اللصوص من دخول أحد المتاحف ، والمبيت ليلًا في مكان مظلم والاختفاء عن العيون ، ثم سرقوا اللوحات ووضعوها في حقيبة من البلاستيك وألقوها من إحدى نوافذ المتحف في مكان مهجور ، وقد قاموا بتعطيل أجهزة الإنذار فتمكنوا من سرقة 11 لوحة كلها رسمت في القرن السابع الميلادي ولا تقدر قيمتها الفنية بثمن ؛ لأنه لا توجد لوحات مماثلة معروضة في الأسواق إنما كل ما يماثلها معروض في المتاحف فقط . قد أعيدت اللوحات من المكان المهجور ؛ لأن اللصوص لم يأخذوها لأسباب مجهولة !

ويرى الخبراء المتابعون أن أكثر الأماكن تعرضًا لسرقة اللوحات الفنية هي الكنائس في أوربا ؛ لأن الحماية وإجراءات الأمن بها أضعف من المتاحف .

وأكثر عمليات السرقة جرأة هي التي قام بها اللصوص في السادسة صباحًا عند فتح أبواب متحف «مارميتون» في فرنسا ، وقاموا باقتحامه مستخدمين البنادق والأسلحة النارية ، وقاموا بالاستيلاء على ثماني لوحات ، منها لوحة شهيرة للرسام «كلود مونيه» التي رسمها عام 1872 ، وعنوانها «تأثر بشروق الشمس» وتعتبر البداية للمذهب التأثري في الرسم الذي اتخذ اسمه منها .. كما سرقوا في الاقتحام نفسه لوحة لرينوار عنوانها «الفتاة الصغيرة في المرقص» .

إلا أنه لسوء حظ اللصوص اكتشفوا بعد السرقة أن هذه اللوحات مقلدة ، وضعتها إدارة المتحف خصيصًا لخداع من يحاول سرقتها .

عودة اللوحة الضائعة

أعلن الدكتور ثروت عكاشة - وزير الثقافة وقتها - في مؤتمر صحفي ، نبأ العثور

على اللوحة بناء على خطاب وصله من مجهولين يدلونه فيه على مكانها .

لقد كتب المجهولون في خطابهم إلى «الدكتور ثروت عكاشة» أن اسم «روبنز» قد لفت نظرهم ؛ خاصة بعد أن ذكر مرارًا بمناسبة سرقة اللوحات الشهيرة من متحف لندن.

والواقع أن اسم روبنز لا يحمل دلالة خاصة بالنسبة لقارئ الصحف العادي ، حتى بعد تكراره في الأخبار التي وردت عن حادث متحف لندن .. ولكنه يلفت نظر دارسي تاريخ الفن ؛ ولهذا نرجح أن يكون اللصوص من طلبة أو خريجي أحد المعاهد أو الكليات الفنية .

ومن ناحية أخرى اتصل شخص يتحدث اللغة العربية بلكنة أجنبية في الساعة الواحدة ظهرًا بمأمور قسم قصر النيل ، وأبلغه في لهجة سريعة «إذا كنتو عايزين اللوحة المسروقة خد الجواب عليه زلطة عند الشجرة الكبيرة في برج القاهرة » .

أسرع مأمور قسم قصر النيل إلى حيث عثر على الخطاب وفوقه «الزلطة» ، وقد كتب باللغة العربية وبحبر أزرق على ورقة كراسة . في ناحية منها هذه العبارة (إذا كنتو عايزين اللوحة . مرسوم مكان اللوحة على الخريطة في ظهر الخطاب .. لم نكن ندرك ما ترتب على اختفاء الصورة من إجراءات والقبض على أناس أبرياء خاصة أمين المتحف ، وقد أرسلنا خطابًا مستعجلًا لوزير الثقافة حددنا فيه مكان الصورة) .

وقد حدد مرسل الخطاب مكان اللوحة على خريطة متقنة بمنطقة حديقة ملهى «تورنج» قبل الطريق الصحراوي ، حيث يوجد طريق غير مرصوف به قناة للمياه مبطنة بالأسمنت ، وبالقرب منها 3 نخلات أمامها شجرة عليها علامة عند جذعها أحدثت في الشجرة حديثًا ، والصورة على مستوى الأرض تحت الرمال مباشرة .

لكن البوليس لم يعثر على شيء في المنطقة التي حددها الخطاب ، وعندما عادت القوة إلى قسم قصر النيل علمت أن الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة قد بعث بمجموعة من رجال وزارة الثقافة إلى شارع الهرم مباشرة حيث عثروا على اللوحة فعلًا في المكان الذي حدده الخطاب .. وأعلن الوزير في مؤتمر صحفي بمكتبه عن

العثور على اللوحة .

قال الوزير إنه تلقى خطابًا مسجلًا لا يحمل توقيعًا ، ويتضمن اعتراف 4 من الشباب بأنهم سرقوا هذه اللوحة العالمية ، وأن هدفهم هو لفت الأنظار إلى ما تعانيه المتاحف الفنية من ركود وإهمال ، وأعلن أنه تم العثور على اللوحة في المكان الذي حدده الخطاب .

وقد وجدت مدفونة في أرض بور مهجورة بها أشجار متناثرة كانت ضمن أملاك الأمير عباس حليم . على بعد مائتي متر من كازينو وملهى «التورنج» بشارع الهرم. وتم العثور عليها بعد خمسة أيام من اكتشاف السرقة .. وكان الذين أبلغوا وزير الثقافة عن مكانها هم سارقو اللوحة أنفسهم ، ولم يكن لأجهزة الأمن فضل في استعادتها . وقد وجدوها ملفوفة بعناية داخل فانلة نظيفة منزوعة الرقبة والأكمام ، واللفافة محفوظة داخل الجرائد الصباحية الثلاث الصادرة يوم 4 مارس عام 1967 . وموضوعة داخل صندوق كرتون مربوط بالدوبارة وصرح الدكتور ثروت عكاشة بأن السرقة حدثت للإهمال الزائد من المشرفين على المتحف .. وعلل السرقة بأنها سرقة هادفة لعمل نقد بناء لحالة الإهمال بالمتاحف المصرية .

وبعد ذلك تم الإفراج عن المحجوزين على ذمة التحقيق .

نص خطاب اللصوص

بعد التحية : لقد سرقنا لوحة للفنان روبنز من معرض التحف الملكية بأرض المعارض بالجزيرة ، ولن نأسف لقيامنا بهذا العمل ، ولكننا آسفون أكثر وأكثر على استهتار الرقابة على هذا المعرض القيم . لن نحاول أن نفلسف ما قمنا به ولكننا نحب أن تعلموا سيادتكم ما يلي :

1- ذهبنا لمشاهدة عرض القبة السماوية يوم الأربعاء 51 مارس 76 ووجدنا أن هناك معرضًا للوحات ، واجتذب نظرنا اسم روبنز ، خاصة أنه ذكر مرارًا بمناسبة سرقة اللوحات الشهيرة من متحف لندن .

2- لم ندخل عرض القبة السماوية واختبأ أحدنا في حجرة ذات ستائر حمراء ووقف اثنان على كل طرف من طرفي المعرض وأخذ واحد يعمل على نقل اللوحات، ولم يستغرق كل هذا إلا ثواني . كانت فكرة طارئة جاءت على بالنا ونحن في المعرض للأسباب الآتية :

1- أردنا أن نقوم بشيء يلفت النظر لا إلينا طبعًا بل إلى المعرض؛ أسوة بالضجة التي حدثت إثر سرقة اللوحات في لندن ، ولا شك أنه في مصلحة المعرض .

2- شجعنا على ذلك استهتار موظفي المعرض إلى أبعد الحدود .

وأؤكد لسيادتكم أنه كان في إمكاننا أن نأخذ أكثر من لوحة ، وبعد قيامنا بهذا العمل أحسسنا أنه لا يعبر عن قدرة ذاتية عندنا بقدر ما هو يعبر عن استهتار المراقبين (ملحوظة : إننا لم نحاول أن نسرق بيضة من قبل) إلا أن عدم وجود رقابة لا يعني انعدام القيم .

3- لقد حافظنا على اللوحة محافظة كبرى وشملناها بالرعاية لا لقيمتها المادية، ولكن لقيمتها الفنية ، ونحن نسعد لوجود أحد أعمال هذا الفنان في مصر .

4- نحن مستعدون لإرجاعها لسيادتكم على الفور بدون أي قيد أو شرط ، ونحن نرجو الاهتمام بهذا المعرض أكثر وأكثر وتشديد الحراسة ، فما الموقف لو كان الذي سرقها لص أجنبي وخرج بها من البلاد خصوصًا وهي صغيرة الحجم ؟!

5- نعم نعترف بأنها كانت فكرة سخيفة ، ولكن ما نستعجب له كيف استطاع أربعة أفراد في لحظات أن يتفقوا على شيء وينفذوه بهذه السرعة دون هدف واضح ، فلو كانت كل الأعمال في مجتمعنا شملها هذا الجو من التعاون وسرعة التلبية فلا شك أنه ستكون هناك إنجازات أكثر روعة .

6- وأخيرًا نأمل أن نوجه هذه القدرة التي اكتشفناها في أنفسنا .. (ليست السرقة طبعًا) إلى ما فيه خير المجتمع .

* * *

الخداع الألماني في سرقة الآثار..

رأس نفرتيتي المسروقة



صورة لتمثال رأس نفرتيتي من الجانب الأيمن .. التمثال من الجبس الملون .. وقد سرقه الأثري الألماني « بورخارت » ومعروض حاليًا في برلين.

رأس نفرتيتي المسروقة

تقوم آثار مصر في متاحف أوربا وأمريكا بدور السفراء الداعين لزيارة مصر ومشاهدة آثارها ، بعضها خرج عن طريق الإهداء من الحكام وولاة مصر .. وأشهر هدية هي التي قدمها محمد علي باشا الكبير لإمبراطور النمسا ، عندما أهداه جميع الآثار المتجمعة في متحف بولاق .. هذه المجموعة تكون الجزء الرئيسي من القسم المصري في «متحف تاريخ الفن» بمدينة ڤيينا .. وهي مثل أقسام الفن المصري القديم في جميع المتاحف الأوربية.. تمثل أساس دراسة الفرعونيات في جامعات هذه الدول . لكن معظم آثارنا بالخارج خرجت مع المغامرين أو بطرق غير مشروعة .

لكن من ناحية أخرى وجود آثارنا في الخارج يجعلنا نطمئن إلى أنها تحظى بعناية واحترام بعيدًا عن الإهمال والتكدس في مخازن الآثار المصرية ، وغير معرضة للتشويه أو التدمير كما حدث للعديد من رسوم الجدران في معبد الكرنك في وقت قريب ، بحجرة الولادة بيد الخفراء الذين تصوروا أن كفاءتهم الجنسية متواضعة إلى جانب كفاءة الكائن المقدس «مين» نموذج الخصب والإخصاب في أواخر عصر المصريين القدماء .. فقاموا بتشويه رسوم هذا الكائن المقدس التي كانت على جدران «حجرة الولادة في معبد الأقصر» .. هذا بالإضافة إلى التهديد بتدمير الآثار الذي تتزعمه جماعة طالبان في أفغانستان ومعتنقو الفكر الوهابي من الإخوان

المسلمين .. ونجد في مصر من يؤيدون هذه الدعوة إلى التحجر والرجعية .. تظهر دلائلها في عدم إقامة أي تماثيل في ميادين مدن مصر منذ يوليو 1952 ولمدة 45 عامًا . لأن «رجال الجيش» كانوا مشحونين بكراهية الفن .

بالرغم من كل هذا فعلينا أن نطالب بعودة الآثار المسروقة خاصة ذات المكانة الفنية والتاريخية المتميزة ، فهذه القطع النادرة تجتذب محبي الآثار الفرعونية والسياح ودارسي الآثار مثلما تجتذب الأماكن المقدسة المؤمنين بها .

****

على رأس القطع الفنية العظيمة المسروقة تمثال رأس الملكة الجميلة «نفرتيتي» الذي لم تتوقف مصر عن المطالبة بإعادته ، وهو معروض حاليًّا في برلين ، هذه الرأس من أجمل وأندر آثار عصر إخناتون الذي حكم مصر لمدة 18 عامًا منذ 3375 عامًا .. وكانت نفرتيتي هي زوجة أمنحتب الرابع الذي غير اسمه إلى إخناتون، ومعناها «حبيب آتون» وكانت نفرتيتي عند زواجها صبية صغيرة ، وقد أنجبت منه سبع بنات خلال عشر سنوات ولم تنجب ذكورًا .

تمثال رأس نفرتيتي هو تمثال فريد فهو ليس تمثالاً جنائزيًّا صنع ليوضع في مقبرة، ولا تمثالاً دينيًّا عثر عليه بين أطلال أحد المعابد ، لكنه صنع ليكون نموذجًا (موديل) للفنانين الذين عليهم أن يتعلموا كيف يقومون بتشكيل ملامح رأس الملكة .. فهي لن تقف أمامهم ليرسموها أو ينحتوا ملامحها ، إنما ينوب عنها هذا التمثال .

وهو ملون ويرتفع 48 سم وعرض قاعدته 19.5 سم ، قام بتشكيله المثَّال تحتمس .. لكن خامته هي «الجبس» كما أنه بعين واحدة والأخرى مفرغة ليتعلم طلاب الفن كيف يرصعون العين بالأحجار الملونة .

هذه هي مواصفات تمثال نفرتيتي الذي سرقته بعثة «الجمعية الألمانية للآثار» . التي حصلت على امتياز التنقيب في أطلال مدينة «أخيتاتون» التي تسمى حاليًّا «تل

العمارنة» نسبة إلى قبيلة بني عمران، والتي جاءت من شبه الجزيرة العربية ضمن القبائل المهاجرة التي استوطنت في مناطق مختلفة بعد دخول جيوش عمرو بن العاص إلى مصر .. وقد استقرت قبيلة بني عمران في تلك المنطقة من محافظة المنيا بالقرب من مدينة ملوي .. وكانت «أخيتاتون» هي عاصمة حكم الملك إخناتون .

عالم الآثار الألماني «لودفيج بورخارت» رئيس البعثة الألمانية هو اللص الذي خطط لسرقة هذا التمثال النادر .. فعندما عثر على التمثال في المنطقة التي كانت تشغلها ورشة النحت الملكية أيام إخناتون .. أخذ التمثال الجميل الملون من بين الرمال إلى خيمته حيث طلاه بمادة عازلة مثل الصابون أو الزيت تمنع التصاق الجبس بالألوان ، ثم رش على سطحه الجبس وهو سائل قبل أن يتحجر فأخفى معالمه ودفنه في أرضية خيمته التي يقيم بها حتى انتهاء موسم الحفريات عام 1923 . ولما أخرجه من تراب الخيمة كان الجبس الجديد قد جف وأصبح وكأنه قديم ، وحملت البعثة ما اكتشفته من آثار في هذه الورشة الفنية إلى القاهرة لاقتسام المكتشفات .

كان الاتفاق أن تحصل مصر على الأعمال الفنية المهمة المكتشفة ، أما الأعمال غير المهمة أو المتكررة فيتم تقسيمها بين البعثة ومصلحة الآثار ، وحصلت مصر على عدد من التماثيل الحجرية الناقصة لنفرتيتي وإخناتون وبناته ، وكان من نصيب «بورخات» وبعثته التمثال الذي كان يبدو ناقصًا لرأس الملكة ، وقد ساعد على التفريط فيه أنه من الجبس .. أما التماثيل الحجرية الناقصة لإخناتون وأسرته فهي معروضة حاليًّا بالمتحف المصري في ميدان التحرير .

وعندما عادت البعثة الألمانية إلى بلادها تم إزالة طبقة الجبس الجديدة ليظهر التمثال الملون الرائع تحتها . وبمجرد الإعلان عن هذه التحفة النادرة أعلنت مصر احتجاجها ، وطلبت إعادة التمثال المسروق الذي خرج بالتحايل وبطريقة غير شريفة، واستمرت المفاوضات حتى استولى هتلر على الحكم في ألمانيا ، فأعلن في إحدى خطبه المدوية عام 1933 أن «نفرتيتي هي محبوبتي ولن تخرج من ألمانيا» . وتوقفت

المفاوضات حتى عادت في اجتماعات منظمة اليونسكو بباريس ضمن مناقشات إجراءات مقاومة تهريب الآثار وإعادة التماثيل واللوحات المسروقة .

التمثال يعود إلى الأضواء

وفي أغسطس عام 2005 أعلنت وكالات الأنباء عن افتتاح متحف خاص بالآثار الفرعونية في ألمانيا هو متحف «هينزل للآثار والبرديات» في برلين . وذكرت وسائل الإعلام الألمانية أن هذا المعرض سيستمر حتى أكتوبر عام 2009 وبعدها يتم الانتقال إلى متحف جديد يُجرى بناؤه حاليًا على أحدث طراز .

يتصدر هذا العرض المتحفي - بالطبع - تمثال رأس نفرتيتي الشهير بألوانه المبهرة.

وقد سبق أن احتل هذا التمثال بؤرة الأضواء في شهر مايو عام 2003 ، عندما وضع مدير متحف برلين رأس نفرتيتي على تمثال من البرونز لجسد عار للملكة من صنع فنانين من المجر ، كفعل فني يهدف إلى إثارة أكبر ضجة ممكنة حول هذا الفعل، ويلفت الأنظار إلى المتحف وأعظم معروضاته ..

لكن الواقع أن ما حدث من ضجة هو تحقيق لأهداف صناع هذا «الحدث الفني» .. فهم لم يفعلوا ذلك ويضعوا رأس نفرتيتي التي نحتت من 3373 سنة على جسم من البرونز تخيل الفنانان أنه يماثل جسد الملكة .. لم يفعلوا ذلك إلا لإثارة أكبر ضجة ممكنة حول ما فعلوه ، ودعوا محطات التليفزيون ومندوبي الصحف إلى تصويره ونشره في كل الدنيا .

لكن ما تم تركيبه على التمثال البرونز هو نسخة طبق الأصل من التمثال الأصلي، وقد ظهر في الصور التي التقطت للحدث (Happening) تمثال نفرتيتي الأصلي في صندوقه الزجاجي المعروض بداخله ، بجوار التمثال المركب من «نسخة» للرأس وجسم من البرونز .. إن تمثال رأس نفرتيتي الأثري مصنوع من الجبس ، وليس من



تمثال ناقص يرجح أنه لنفرتيتي لأنه عثر عليه في مدينة إخناتون زوجها «تل العمارنة حاليًا» .. الرداء بليسيه ملتصق بالجسم .. صنع قبل تماثيل الإغريق المماثلة بأكثر من ألف عام .

الحجر الجيري كما ذكر بعض الأثريين عندنا .. وتمثال بهذه الخامة الهشة يتعرض للتفتت عند أي عبث به.. وهذه الخامة هي التي سهلت التفريط فيه عندما قام عالم الآثار (اللص) «لودفيج بورخارت» بطمس معالمه ليخدع الأثريين المصريين ويقنعهم أنه تمثال ناقص من الجبس .

أما الجسم العاري لنفرتيتي فيوجد في الآثار الإخناتونية مماثل له .. وفي متحف اللوڤر بباريس تمثال لجسم نفرتيتي بغير رأس (علماء الآثار يرجحون أنه لها) ويصورون هذا التمثال في أحد الاحتفالات الدينية بملابس تشف وتلتصق بتفاصيل الجسد فيكاد يبدو عاريًا .. وهذا التمثال ينافس الفن الإغريقي الذي ظهر بعده بألف عام . ودارسو تاريخ الفن يعرفون أن عصر إخناتون الذي لم يتجاوز 18 عامًا حقق طفرة هائلة في الفنون نحو الواقعية والتخلي عن كل التقاليد الصارمة التي كانت تفرضها عبادة (آمون) في طيبة.

ومن المهم أن نوضح انتشار فكرة الإثارة والضجيج الإعلامي عن طريق التلاعب بعمل من الآثار ، وهي فكرة قديمة . ودارسو الفنون الجميلة يعرفون أن الفنان «مارسيل دي شامب» قام برسم شارب للوحة الموناليزا عام 1924 خلال انتشار السيريالية ومذهب «الدادية» في الرسم .. وفي عصرنا الحاضر اعتبر أن فن «الحدث» بديل للفكر السيريالي في عشرينيات القرن الماضي .. وما حدث مع تمثال نفرتيتي يدخل ضمن «فن الحدث» الذي يعمل بعض شباب الفنانين على اتباعه .

* * *



تمثال عار لامرأة أو فتاة من عائلة إخناتون من تل العمارنة ..لم نعثر على مثيل له في آثار المصريين القدماء

سرقة مقبرة توت عنخ آمون قبل افتتاحها



قناع كان على وجه الملك توت عنخ آمون من الذهب المرصع

سرقة مقبرة توت عنخ آمون قبل افتتاحها !!

نشر مؤخرًا «تحقيق صحفي» يكشف عن أحداث مثيرة ، ويسرد معلومات غريبة عن أعظم اكتشاف أثري في القرن العشرين . وهو مقبرة الملك «توت عنخ آمون» التي لم تفتح من قبل ولم يعرف مكانها أحد قبل الأثري الإنجليزي «هوارد كارتر» الذي أرشده إلى مكانها الشيخ عبد الرسول من أهالي قرية «القرنة»، وأشار عليه بالحفر في هذا المكان رغم أن فوقه مقبرة ملكية أخرى صرفت الأنظار عن موقعها طوال 1500 سنة .

وقد شارك في وضع التحقيق الصحفي أستاذ الآثار «جيرالد فاريل» مع عالمة المصريات «لورين إيفانز» بالاشتراك مع الدكتور «صبري عبد العزيز خاطر» مدير آثار الوجه القبلي والأستاذ «محمد نصر» مدير متحف الأقصر ..

تقول القصة التي رواها مكتشف المقبرة «هوارد كارتر» (1873 - 1939) إن الحفر للبحث عن المقبرة . بدأ يوم 1 نوفمبر عام 1922 ، وفي الرابع من نوفمبر عثر العمال على أول درجات السلم المؤدي للمقبرة ، وفي الخامس من نوفمبر وصل الحفر إلى الحائط المختوم بالخاتم الملكي الذي يمثل مدخل المقبرة .

وأسرع «كارتر» إلى مكتب التلغراف ، وأرسل برقية إلى «اللورد كارنارفون» بإنجلترا الذي كان ينفق على الحفريات يقول فيها : «أخيرًا وصلت إلى أعظم اكتشاف ، وهو مقبرة عليها خاتم ملكي سليم» .

وفي 23 نوفمبر عام 1923 وصل اللورد وابنته إلى الأقصر . وأقاما في منزل الأثري «هوارد كارتر» .

وفي السادس والعشرين من نوفمبر أحدث «كارتر» ثغرة في الحائط المختوم بخاتم سليم ، وهو مدخل المقبرة ، ومد ذراعه فيها ممسكًا بيده «شمعة موقدة ووقف خلفه اللورد كارنارفون وابنته يسألانه بلهفة : «هل ترى شيئًا؟» فيجيب كارتر مبهورًا: «أشياء ، أرى أشياء رائعة» .

يعترض علماء الآثار الأربعة أصحاب التحقيق الصحفي الحديث ، على الإعلان الرسمي لمكتشف المقبرة اعتمادًا على ما روته جريدة التايمز ، وذكرت فيه أن الملك «جورج الخامس» استقبل في قصر باكنجهام «اللورد كارنارفون» بعد يومين من وصول التلغراف وذكر اللورد للملك أنه «سيجد المومياء في التابوت بالمقبرة» .

وكان العثور على المومياوات في توابيتها نادر الحدوث ، حتى أن الملك جورج سأل اللورد : «كيف تعرف ؟ .. هل دخلت المقبرة من قبل؟» .

ومن جانب آخر طعنت عالمة الآثار «لورين إيفانز» في رواية «هوارد كارتر» مؤكدة أن الخاتم الذهبي للملك توت عنخ آمون كان معروضًا للبيع في سوق الآثار قبل الافتتاح الرسمي للمقبرة ، فكيف وصل إلى الأسواق والمقبرة عليها «خاتم ملكي سليم» ؟! .

يؤكد أصحاب التحقيق الصحفي أن مقبرة توت عنخ آمون لم تكتشف سنة 1922 ، وإنما اكتشفها هوارد كارتر سنة 1913 .

ولكن كارتر أخفى الاكتشاف وقضى وقتًا في التفاوض مع اللورد كارنارفون وربما غيره من الممولين للحفريات ، أو المتاحف التي تشتري الآثار . وعلى رأسها متحف «المتروبوليتان» في نيويورك .

ولكن الحرب العظمى (1914 - 1918) عطلت مشروعه لانقطاع المواصلات البحرية وإعلان إنجلترا الحماية على مصر .. والتوتر السياسي والعسكري ، وتوقف عمليات التنقيب عن الآثار .

وبعد الحرب قامت ثورة 1919 .. وتوترت العلاقات المصرية البريطانية واختل الأمن .

وفي 28 فبراير سنة 1922 أصدرت بريطانيا تصريحها المعروف بتصريح فبراير 1922 وينص على استقلال مصر واحتفاظ بريطانيا بتحفظاتها الأربعة .. وبدا لكارتر أن الأحوال ستهدأ وأن الظروف ستسمح باستئناف مشروعه .

فلما انتهى صيف 1922 بدأ كارتر موسم الحفر الجديد في وادي الملوك من أول نوفمبر ..

معنى هذا أن كارتر دخل المقبرة سنة 1913 كما يقول التحقيق .. ولم يدخلها من الباب المفتوح اليوم للجمهور ، وإنما دخلها من بابها الطبيعي خلف المقبرة عن طريق الممرات التي تصل بين عدة مقابر في الجبل .

ولكن كارتر في سنة 1922 حفر مدخلًا ثانيًا للمقبرة ، وهو المدخل المستخدم حاليًّا ؛ ليخفي المدخل القديم والطبيعي للمقبرة ، وليخفي آثار تردده السابق على المكان .

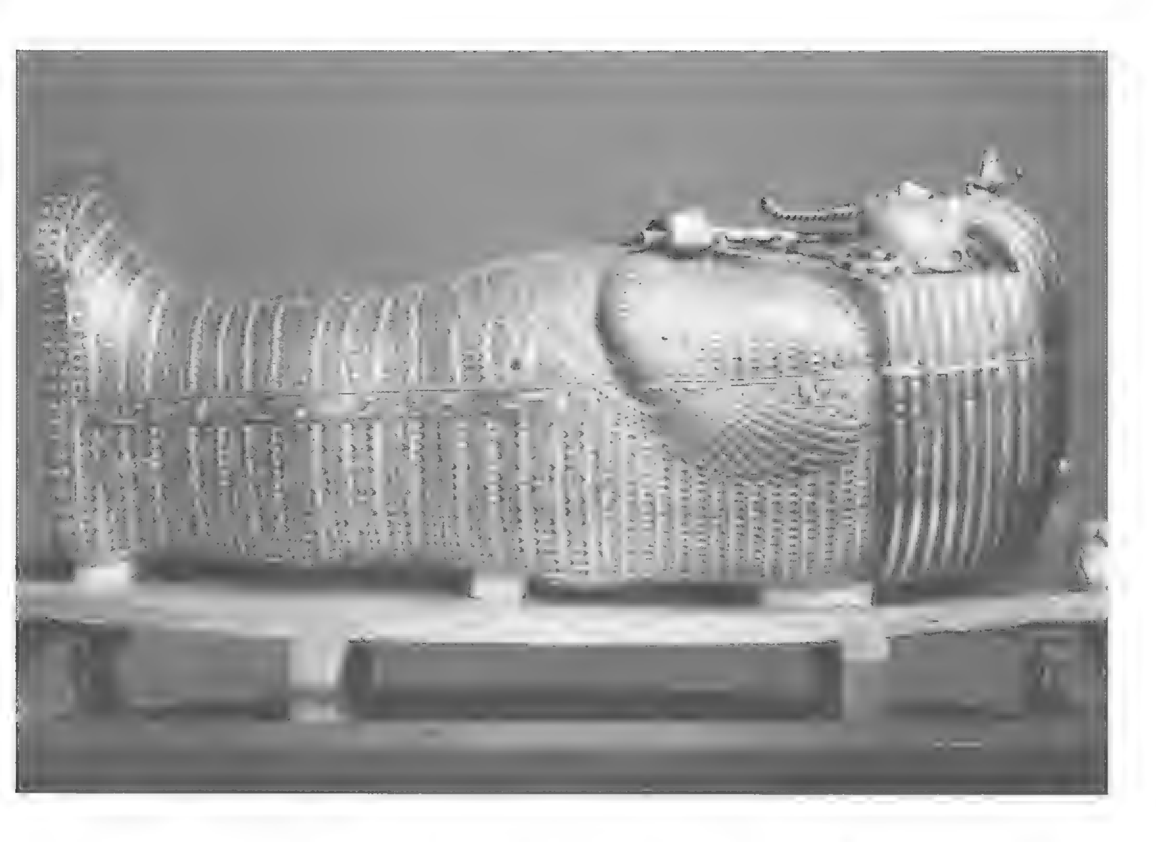
واضطر في سبيل ذلك إلى أن يبني حائطًا بين المقبرة والممرات ويرسم عليه بالأسلوب الفني المصري القديم رسومًا جنائزية .

ولكنه أخطأ خطأين ، الأول هو أن المدخل الذي اصطنعه للمقبرة عرضه يقل حوالي نصف متر عن طول المحور بين عجلتي العربة الملكية التي كانت داخل المقبرة .

ومعنى ذلك أن العربة لابد قد دخلت المقبرة مفككة وتم تجميع أجزائها في الداخل.. وهو أمر غير مألوف ، وغير مسبوق وغير وارد عند قدماء المصريين .

كما أن الأثري الأستاذ «جيرالد فاريل» يؤكد أن «حائط كارتر ورسومه» لا تتناسب مع مساحات الرسوم الأخرى الأصلية في المقبرة ولا تطابق أسلوبها الفني ..

وقد صرح الأثري «محمد نصر» بأن كارتر ومساعده قضيا ليالي في المقبرة



التابوت الثاني المرصع بالأحجار الكريمة ونصف الكريمة للملك « توت عنخ آمون »

وحدهما في مهمة تتعلق بتسجيل القطع الأثرية ، وأن أشياء كثيرة من آثار توت عنخ آمون موجودة في إنجلترا وظهرت أخيرًا . ولا شك أنها خرجت ، وتم تهريبها إلى إنجلترا في فترة تسجيل القطع الأثرية .

أما الأثرية «لورين إيفانز» فقد ذكرت أن أكبر المتاحف في العالم فيها قطع مهمة من آثار توت عنخ آمون ، وأن معظم هذه الأشياء خرجت من مصر في العشرينيات عن طريق التهريب .

ومن المؤكد أن «كارتر وكارنافون» قد دخلا المقبرة قبل الافتتاح الرسمي لها ليريا ما بها ، ونشرت جريدة التايمز في 30 نوفمبر «أن الاكتشاف يعتبر أكبر اكتشاف في القرن» وكان هذا النشر قبل الإعلان عن محتويات المقبرة من الناحية الرسمية !!

لقد كان كارتر وكارنارفون يديران عملية كبرى ؛ حيث تم التعاقد مع صحيفة التايمز على احتكار التصوير واحتكار نشر أنباء الكشف .. وحتى الصحف المصرية لم تحصل على حقوق التصوير .. وتم التعاقد على حقوق التصوير مع شركة «مترو جولدوين ماير» داخل المقبرة بلا منافس وأرسلا برقية إلى متحف «المترو بوليتان» بنيويورك نصها : «اكتشاف هائل ، ونريد كل مساعدة» .

****

وفي غمرة الارتباك في فترة الافتتاح الرسمي ، حصل كارتر على تصريح باستخدام مقبرة قريبة خالية لتخزين وترميم وتنظيف آثار توت عنخ آمون ، واشترى سيارة نقل ، وكان نقل الآثار بين المقبرتين فرصة للتهريب ..

وقد دب الخلاف بين الشريكين وانتقل «اللورد كارنارفون» من الإقامة بمنزل كارتر إلى فندق الكونتيننتال مريضًا بالحمى ، وتوفي في الخامس من أبريل 1923 .

ثم دب الخلاف بين كارتر والسلطات المصرية عقب الحصول على الاستقلال الوطني بعد ثورة 1919 ، ومعارضة دور الأجانب الذين يحتكرون الحفر والتنقيب عن تاريخ مصر المجيد .

اللوحات الملونة



لوحة «آنية وزهور» في متحف محمود خليل التي أطلق عليها اسم «أزهار الخشخاش»



الفنان الهولندي «فنسنت فان جوخ» بيعت إحدى لوحاته لزهور عباد الشمس بمبلغ 82.2 مليون دولار



سرقة لوحة روبنز من متحف الجزيرة



أغلى لوحات «ڤان جوخ» التي رسمها لزهور « عباد الشمس » .. بيعت إحداها بالمزاد بملبغ 82.5 مليون دولار.



من لوحات الفنان« رينوار»



صورة لتمثال رأس نفرتيتي من الجانب .. التمثال من الجبس الملون.. وقد سرقه الأثري الألماني «بورخارت» ومعروض حاليًا في برلين



سرقة مقبرة توت عنخ آمون قبل افتتاحها



التابوت الذهبي للملك توت عنخ آمون (جزء تفصيلي) كانت بداخله المومياء الملكية



تابوت الفرعون الصغير «توت عنخ آمون» من الذهب الخالص



رأس تمثال من الآثار المصرية القديمة معروض بأحد المتاحف الألمانية



تمثال خشبي نادر من مقابر الدولة الوسطى حوالي 2000 سنة قبل الميلاد سرق من آثارنا ومعروض بالخارج.



غطاء تابوت مذهب وملون «كرتوناج» عثر عليه فوق مؤمياء الأميرة الجميلة..
وخرج إلى المتحف الأوربية (خلسة)



أحد التماثيل النادرة التي تصور الملك الطفل على «حجر» أمه وهو من المرمر ومعروض بأحد المتاحف الأوربية



لوحة الجيوكاندا أو «الموناليزا» للفنان دافنشي وهي تعتبر فخر متحف اللوڤر بباريس



من أعمال رسام راقصات الباليه «إدجار ديجا»



«عائلة مهرج السيرك» لوحة للفنان «بابلو بيكاسو»

أغلق كارتر مقبرة الملك والمقبرة المخزن بالمفاتيح ، ووضع لافتة في فندق الأقصر تفيد انتهاء موسم الزيارة للمقبرة .. وسافر إلى أمريكا .

ولكن السلطات المصرية فتحت المقبرتين ، وقامت بتفتيشهما ، فعثرت على صندوق مكتوب عليه «نبيذ أحمر» ، ولكن ما به كان تمثالاً خشبيًّا لرأس توت عنخ آمون افترضت أنه كان معدًّا للتهريب .. فأصدرت أمرًا بمنع «هوارد كارتر» من دخول وادي الملوك إذا عاد.

وأسرع كارتر بالعودة وطلب تدخل القنصل البريطاني العام بينه وبين الحكومة المصرية، ولكن الأحوال السياسية لم تكن كما كانت .. ونصحته السفارة البريطانية بالاتصال بالحكومة المصرية مباشرة .

ويقدر الأثري المصري أحمد الصاوي أن أكثر من ثلثمائة قطعة من مقبرة توت عنخ آمون سرقت واغتربت في العالم على أيدي كارتر وبمعرفته !!

حين توفي كارتر سنة 1939 أوصى لابنة أخيه بكل ما يملك حيث كانت وريثته الوحيدة . وكان ضمن التركة بعض تحف وأدوات صغيرة (غير مسجلة) وتنتمي إلى آثار مقبرة توت عنخ آمون ، ولكن ابنة أخيه أعادت هذه التحف والأدوات إلى الحكومة المصرية ..

ودعَّم هذا التصرف منها ، الاتهامات باشتراكه في تهريب العديد من آثار مقبرة توت عنخ آمون التي اكتشفها . وبعد الحرب العالمية الثانية قرب انتصاف القرن العشرين ، نشرت جريدة التايمز اللندنية أن اللورد «كارنارفون» الصغير ورث لقب اللورد وتركة جده التي تتضمن قصرًا فاخرًا ضخمًا في الريف الإنجليزي ، فلما انتقل اللورد الجديد لسكنى قصر أجداده لاحظ - على حد قوله - وجود حائط خشبي يغطي أحد جدران المكتبة ، فسأل عنه .. ولكن أحدًا من الخدم لم يكن يعرف سبب وجوده ، فأمر اللورد باستدعاء أكبر الخدم الأحياء سنًّا فكان رئيس خدم (باتلر) بالمعاش ، وسأله عن الحائط الخشبي، ولماذا لا توجد عليه أرفف للكتب .

قال رئيس الخدم إن هذا الحائط تم تغليفه بالخشب إثر وفاة اللورد كارنارفون الأسبق الذي قام بتمويل حفائر هوارد كارتر واكتشاف مقبرة توت عنخ آمون .

وحكى رئيس الخدم أن اللورد توفي بعد اكتشاف المقبرة بشهور في فندق الكونتننتال بالقاهرة متأثرًا بحمى غامضة . وشاع الظن أنه توفي «بلعنة الفراعنة» أو «لعنة توت عنخ آمون» أو «لعنة المومياء» .. وهذه كلها كانت عناوين في الصحف .

وقد أمرت أسرة اللورد غداة وفاته الغامضة بوضع كل الآثار الفرعونية التي بالقصر في حائط المكتبة ، وبإخفائها عن الأعين بحائط خشبي مصطنع .. فلا يعود في القصر أي قطعة آثار فرعونية ظاهرة ، تصيب أهل القصر بلعنتها أو تثير التساؤل حول كيفية وصولها إلى قصر اللورد بإنجلترا ؟

وتروي صحيفة التايمز أن اللورد باعها احتكار النشر لقصة الاكتشاف ، فجاء المحرر المختص بالآثار والمصور والنجار ومدير القسم المصري (الفرعوني) بالمتحف البريطاني ومندوب من شرطة الآثار والبحث الجنائي (سكوتلاند يارد) ومساعدون .

اجتمع هذا الفريق كشاهد عليهم ، وهم ينزعون بمنتهى الحرص الحائط المصطنع.

و«يا للروعة!» .. صاح المحرر المختص بالآثار .. «هذا أروع اكتشاف بعد مقبرة توت عنخ آمون» .

كان خلف الحائط عشرات التحف الفرعونية كبيرة وصغيرة ، وأوراق قديمة تكاد تكون بالية في صندوق عادي على رف بين عناصر الكنز الثمين .

في اليوم التالي استدعى مندوب المتحف البريطاني عددًا من الخبراء من مساعديه وصوروا كل شيء بما في ذلك الأوراق القديمة ، وتم تسجيل الآثار في وضعها وبعد فحصها ، وقامت سكوتلاند يارد بتحرير محضر بالكشف به وصف للتحف ، وقام المصور الصحفي بتصوير عملية الكشف ونزع الحائط والتحف التي كانت في الخبيئة الكنز.

اللهم إن بعض الظن إثم .. ولكن من الملفت للانتباه اجتماع كل هؤلاء الناس مختلفي التخصصات في عملية الكشف .. ليصادر حضورهم على حكايات الشك والريبة والمظنات لمن يحب النميمة أو يجري وراء الشائعات . لكن هذه الترتيبات المحكمة تجعلني أقتنع أن المسألة وراءها عملية (غسيل آثار) تشبه عمليات (غسيل الأموال) .

المهم أن خبراء المصريات في المتحف البريطاني فحصوا الأوراق التي كانت في الصندوق وهي تراخيص من مصلحة الآثار في الربع الأول من القرن العشرين بامتلاك ونقل كل قطعة آثار في الخبيئة ، والتراخيص أو التصاريح بتواريخ 1907 و 1911 و 1913 وغيرها .

وأصدر المتحف البريطاني شهادة للورد الوريث بصحة هذه التصاريح وأختامها ، وبمطابقتها القطع الأثرية التي عثر عليها خلف الحائط الخشبي المصطنع ، ودعا اللورد نخبة من علماء الآثار والصحفيين والأساتذة لتفقد الاكتشاف المثير واحتساء الشاي .



تابوت الفرعون الصغير توت عنخ آمون من الذهب الخالص

تحف سرقت ولم تضبط ولم ترد

شاهدت في يناير عام 1967 أحداث سرقة تشبه «الفزورة» عندما كنا نتردد على «قاعة الفنون الجميلة» بمبنى الغرفة التجارية المطلة على ميدان الفلكي بحي «باب اللوق» وقد تحولت هذه القاعة خلال حكم أنور السادات إلى بنك بأمر السيدة «جيهان السادات» التي كانت رئيسة فخرية لنقابة الفنانين التشكيليين، وفي الوقت نفسه تغلق قاعة الفنون الجميلة لتتحول إلى مقر لأحد البنوك ... جاءنا في القاعة الأستاذ «مصطفى أبو دلال» في حالة من الهياج والغضب وأعلن أنه رفض التسلم لأنه اكتشف ضياع 21 فصًّا من الماس «البرلنت» كانت ترصع الصينية والطقم الذين أهدتهما الإمبراطورة «أوجني» للخديوي إسماعيل.

والصينية من الذهب الخالص المركب عليه رقائق من الفضة ومرصعة بالماس وتزن 1737 درهمًا ومعها 24 ظرف فنجان قهوة بيشة من الطقم نفسه .

وقد صودرت الصينية وملحقاتها من قصر الملك السابق بالقبة عام 1953 وأودعت خزائن البنك المركزي عند مصادرتها .

وفي يناير عام 1967 توجه الأستاذ «مصطفى أبو دلال» مندوبًا عن وزارة الثقافة لتسلمها مع باقي التحف المصادرة ؛ وذلك لضمها إلى معروضات المتحف الخاص بالمجوهرات المختلفة عن الأسرة الملكية .

ولكن المندوب رفض تسلم الصينية وملحقاتها عندما تبين أنها مغايرة لمواصفات الجرد الذي تم عند المصادرة ؛ وذلك لاختفاء أربعة فصوص من الماس الذي يرصع الصينية ، وكذلك 27 فصًّا «من الأظرف» الملحقة بها .

وقد أكد التحقيق أن السرقة تمت قبل إيداعها خزائن البنك ... ولم ينته التحقيق إلى شيء .

وقد عرفنا من الأستاذ «أبو دلال» أن الخزانة التي أودعت بها التحف المصادرة لها ثلاثة مفاتيح استخدمت عند إغلاقها ، ولا تفتح إلا باجتماع المسئولين الثلاثة الذين يحتفظ كل منهم بمفتاح ، وقد تضمن محضر فتح الخزانة هذه البيانات التي ذكرناها !!

آثار الفراعنة التي نهبت

لقد سرق تابوت «توت عنخ آمون» الذهبي من المتحف المصري بميدان التحرير في القاهرة عام 1959 بعد سبع سنوات من الحكم العسكري للجيش .. وهذا التابوت يزن 223 رطلًا من الذهب ، ومرصع بأعداد كبيرة من الجواهر والأحجار الكريمة ... وقد أدى هذا الاختفاء العجيب إلى عمل جرد لمجموعات الآثار بالمتحف لأول مرة، فظهر أنه خلال 23 عامًا – من 1936 حتى 1959 – فقدنا من دار الآثار (متحف القاهرة) 26 ألف قطعة أثرية من بينها 117 قطعة ذهبية نادرة القيمة لا يعرف مكانها .

وعلينا ألا ننسى أو نتناسى البعثات الأجنبية للتنقيب عن الآثار والتي قامت بتهريب آثارنا إلى الخارج خلسة ، وخاصة في الحقائب الدبلوماسية ، ومنها على سبيل المثال بعثة ريشارد لبسيوس (1843 - 1845) التي أخرجت مجموعة من آثار الدولة القديمة (عصر بناة الأهرام) وهي الآن في متحف برلين .

ثم بعثة لود فيج بورخارت (1922 - 1924) التي اغتصبت عددًا كبيرًا من آثار إخناتون ، ومنها رأس نفرتيتي الشهير ، الذي عثر عليه في مشغل النحت بين آثار تل العمارنة (بالقرب من مدينة المنيا) وهذه الرأس معروضة الآن في أحد متاحف ألمانيا .

ثم بعثة «كارتر – كارنافون» (1920 - 1922) ، وهي البعثة التي اكتشفت مقبرة توت عنخ آمون. وخرجت بتاج الملك الذهبي وبمجموعة من الآثار التي اشتراها منهما متحف «المتروبوليتان» بنيويورك . وبعضها لا يزال مستقرًا في قلعة عائلة «كارنا فون» ببريطانيا .. ومن بين آثار هذه المقبرة التي اختفت ولم تظهر حتى الآن مجموعة برديات توت عنخ آمون .



نحت غائر للإله «آمون رع» على جدران معبد الكرنك .. تماثيل آمون نادرة لأنه الإله الخفي

عودة تمثال «آمون» من باريس

في يوم 20 مارس عام 1981 قضت إحدى المحاكم الفرنسية بتسليم تمثال رأس الإله آمون البالغ وزنه أكثر من 300 كيلو جرام إلى مصر .. بعد أن ظل هذا التمثال الشهير حائرًا بين القاهرة وباريس لمدة خمس سنوات ، والذي قررت المحكمة في نهاية المطاف أنه من حق مصر ويجب إعادته فورًا إلى القاهرة .

تبدأ قصة تمثال رأس آمون منذ عام 1928 عندما حضرت إلى مصر بعثة أثرية فرنسية برئاسة العالم الأثري «مونتيه» للتنقيب عن الآثار بمنطقة صان الحجر مركز الحسنية -كانت تسمى «تانيس» قديمًا - واستمرت أعمال هذه البعثة في الحفر والتنقيب عن الآثار حتى عام 1956 اكتشفت خلالها كميات كبيرة من الآثار النادرة كان من بينها تمثال رأس آمون وهو من التماثيل النادر العثور على مثلها بين آثار أجدادنا الفراعنة . واحتفظت البعثة بآثارها المكتشفة داخل مخازن في المنزل الذي كان أفرادها يقيمون فيه ، وذلك بعد أن تم جردها وتسجيلها تسجيلًا علميًّا .

وفي عام 1956 انتهت البعثة من حفرياتها بتلك المنطقة لتتسلم منها بعثة فرنسية أخرى أعمال الحفر والتنقيب بالمنطقة نفسها ، وتقيم بنفس المنزل المخصص لإقامة البعثات الأثرية بصان الحجر ، وكان يرأس البعثة الجديدة العالم الأثري الفرنسي جان يويوت.

وفي عام 1976 حدثت سرقة كبرى لمخازن آثار البعثتين حيث اختفت 80 قطعة أثرية نادرة وكان أهمها تمثال رأس الإله آمون .. هذا الإله الذي قال عنه علماء الآثار المتخصصون إنه كان الإله الرئيسي في العاصمة «طيبة» وفي كل أنحاء مصر طوال عصر الدولة الحديثة ، الذي ارتبطت به جميع المعبودات والكائنات المقدسة

الأخرى . فقد عرف الإله آمون منذ الدولة الوسطى في الأسرة 12 حيث اقترن اسم ملوك من هذه الأسرة باسم آمون كالملك «أمنمحات الأول» الذي كان يسمى بالملك (آمون – أمحات) وغيره من الملوك الذين ارتبط اسمهم باسم «آمون» .

وعندما جاءت الدولة الحديثة ابتداء من الأسرة 18 أصبح آمون هو (رأس ثالوث طيبة) وانتقلت شهرته من النطاق المحلي إلى النطاق العالمي وكانت مصر في ذلك الوقت تسيطر على العالم أجمع ؛ لأن الإمبراطورية المصرية امتدت حدودها شمالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا نتيجة للفتوحات الضخمة التي حققها ملوك الدولة الحديثة ، وقد أعدوا التماثيل لآمون ؛ ليتعرف عليه الناس ويقدسوه في كل مكان .. وكانت كلمة آمون تعني «الإله الخفي» الذي لا يرى .

وتماثيل الإله آمون رغم شهرته الواسعة كانت قليلة ومصنوعة من الحجر على شكل إنسان. وعندما حدثت ثورة إخناتون قام الكهنة بتحطيم معظم تماثيل ثالوث طيبة ومنها تماثيل «آمون» .. ومن هنا كان لتمثال رأس آمون أهمية كبرى لندرته . حيث إن الموجود من تماثيله بمتاحف العالم لا يتعدى أصابع اليد الواحدة ، وبالتالي فقيمته الأثرية والتاريخية كبيرة جدًا ولا يمكن تحديد قيمة مادية له ؛ لأنه جزء من تراث الشعب المصري وحضارته العريقة .

آمون في باريس

ولكن كيف وصل التمثال إلى باريس وكيف تم اكتشافه هناك ؟

لقد عاد العالم الأثري جان يويوت إلى فرنسا ، وكان ذلك عام 1976 وأثناء سيره بشارع السين بباريس وقف أمام أحد محلات بيع العاديات ، ولم يصدق عينيه ، فقد شاهد في ڤاترينة المحل تمثال رأس «آمون» الذي أخرجته بعثته الأثرية أثناء عمليات التنقيب في صان الحجر ، وتساءل عن الذي أتى بالتمثال إلى باريس بهذه السرعة رغم أن وزنه أكثر من 300 كيلو جرام ، واقترب من التمثال وأخذ يدقق النظر إليه

عدة مرات إلى أن تأكد أنه التمثال الأصلي نفسه الذي اكتشفه !! وقد وضع عليه الثمن المطلوب فيه ، وهو 130 ألف دولار ، فأسرع من فوره وأبلغ الشرطة الفرنسية والسفارة المصرية بالأمر ، وأجريت الاتصالات والتحريات التي تبين منها أن محل العاديات الذي يعرض التمثال تملكه سيدة يونانية الأصل وتقيم أسرتها بالقاهرة .

وأقامت السلطات المصرية دعوى أمام المحاكم الفرنسية ضد السيدة اليونانية لاسترداد التمثال ، وعندما حضرت السيدة اليونانية بعد ذلك إلى القاهرة قررت أنها لم تعلم أن التمثال مسروق من مصر ، وأعلنت أنها على استعداد لرد التمثال إلى السلطات المصرية ؛ وذلك إثباتًا لحسن نيتها إذا ما وافقت السلطات الفرنسية على ذلك ، فتقرر اتخاذ الإجراءات القانونية وإيفاد بعثة من رجال شرطة الآثار، وخبير من هيئة الآثار؛ للعمل على رد التمثال بعد التحقق من أنه التمثال الأصلي الذي اختفى من صان الحجر ضمن القطع الثمانين المسروقة ، وطارت البعثة إلى باريس ومن خلال المستشار الثقافي بسفارتنا تم الاتصال بأجهزة الشرطة الفرنسية للتنسيق لإعادة التمثال إلى القاهرة .

وعقدت محكمة السين جلستها لبحث الموضوع بعد أن تقرر عرضه على القضاء الفرنسي.

وكانت وجهة النظر المصرية في إعادة المثال ؛ حيث إنه جزء من التراث المصري وإنه غير قابل للتداول ويعد ملكًا للإنسانية كلها ، وفي نهاية الجلسة أصدر القاضي قراره بإعادة التمثال إلى مصر وتسليمه للسفارة المصرية بباريس بعد تشكيل لجنة للتأكد من أنه التمثال الحقيقي وليس مزيفًا ، كما أمر بتعيين السيدة اليونانية حارسة عليه لحين تسلمه وفقًا لإجراءات القانون الفرنسي .

وعادت البعثة المصرية إلى القاهرة ومعها تمثال رأس «آمون» كي يأخذ مكانه بين التماثيل المكدسة بمخازن المتحف المصري !! أما بقية المسروقات الثمانين فلا يعرف أحد عنها شيئًا !!

26 ألف تحفة أثرية سرقت من متاحفنا خلال 23 سنة

تعتبر مصر مخزنًا لآثار العالم ، فنحن نمشي فوق الآثار في كل بقعة من أرض مصر ؛ بسبب تتابع الحضارات وتعددها على مدى ثلاثة آلاف وخمسمائة عام قبل التوقف عن التحنيط قبل الدفن ، مع اختلاف أماكن تمركز الحكام ، وبفضل عقيدة البعث بعد الموت التي سبقت بها مصر كل شعوب الدنيا ، وجعلت طقوس الدفن تحتم العناية بالمومياء وتحنيطها ودفنها بعيدًا عن المناطق الرطبة .. مما حافظ على الآثار وحقق حمايتها .

ويقدر ما تملكه مصر من آثار بسدس آثار العالم .. وفي تقدير آخر ثلث آثار العالم . فإلى جانب مناطق الآثار المعروفة هناك المناطق الأثرية التي لم تكتشف بعد .. وهذه الكنوز تعد مطمعًا للكثيرين ..

لصوص المقابر أيام الفراعنة

أقدم عملية سطو على المقابر الفرعونية وصلتنا في شكل محاكمة مسجلة على أوراق البردي في العصر المتأخر (العصر الصاوي) بعد عصر الدولة الفرعونية الحديثة (أي بعد الأسرة العشرين) ..

عصابة سرقة المقابر كانت تتكون من اللص «حابي» وهو قاطع أحجار ، ثم الصانع «أدامن» ، والفلاح «أمنحوب» وحامل المياه «واسكم» ثم الخادم «أمير نفر» مع آخرين ... هؤلاء اللصوص حينما أُلقي القبض عليهم كانت جريمتهم أكبر الجرائم ؛ لأنهم تسببوا بفعلتهم في حرمان الملك الراحل من الحياة الأبدية ، ولم يراعوا حرمة الأموات وتعدوا على الأولياء والكائنات المقدسة (التي أطلق عليها الحكام البطالسة والرومان لقب الآلهة لأن ملوك مصر كانوا ورثة عرش حورس ابن إيزيس وأوزوريس، أول ملوك مصر المبعوثين من ناحية الإله «رع») .. فكان عقابهم أليمًا بتعليقهم على الخازوق وترك أجسامهم للطيور الجارحة بدون دفن فيتم حرمانهم من التمتع بالحياة الأخرى .

وتذكر البردية اعترافات اللصوص الذين قالوا : «فتحنا التوابيت فوجدنا مومياء الملك وحولها التمائم والتعاويذ من الذهب ، حول العنق وفوق الرأس ، ووجدنا قناعًا من الذهب تحيط به الأشرطة الذهبية ، وقد نزعنا التمائم والجواهر المحيطة بالرقبة .. ووجدنا الملكة في تابوتها بجوار زوجها تتزين مومياؤها بالجواهر ، فنزعناها ، كما أخذنا الأثاث الجنائزي الذي وجدناه في المقبرة والأواني الذهبية والفضية واقتسمناها إلى ثمانية أجزاء...».

تدمير الآثار

ويهمنا أن ننبه إلى السلبيات الخطيرة التي ترتبت على ما يسمى (بقانون حماية الآثار) الذي نرى ضرورة إعادة النظر فيه .. فمبدأ المصادرة المنصوص عليه في هذا القانون ، وملكية الدولة لما في باطن الأرض من آثار هو من ثمار إعادة الحياة لفكرة «رأسمالية الدولة» الذي طبقه (أفندينا) أيام محمد علي الكبير ، وأعاد إليه الحياة حكم الجيش بعد عام 1952 تحت اسم «الاشتراكية» . وما دام كل شيء يتحول إلى الملكية الخاصة الآن تحت اسم «الخصخصة» فلابد من إعادة السيادة لمبدأ الملكية الخاصة لمالك الأرض بما في باطنها. وكل من يعثر على أحد كنوز الفراعنة أو أجدادنا القدماء فهو ملك له ، ويجب أن يعوض إذا كان ذا نفع عام .

إن القانون الحالي يدفع المواطنين (في ظروف الانفجار السكاني والبناء العشوائي في كل مكان) إلى إخفاء أو تدمير أو تهريب ما يعثرون عليه من آثار خوفًا من المقاضاة والنكبات التي تترتب على الإعلان عمّا يكتشفونه .. ولو تصورنا ضخامة الآثار المدفونة في باطن الأرض ، لأدركنا مدى الخسارة الفادحة من عدم النص على تعويض مكتشف الأثر تعويضًا مناسبًا .

إن الخبرة التي اكتسبها أفراد الشعب من التنكيل الذي حدث بالعاملَيْن اللذين اكتشفا «كنز خاتون» واعتبارهما «لصوص آثار» هي عبرة شديدة المرارة ومدمرة

لكل الآثار التي سيعثر عليها الأفراد ، وخاصة العملات الذهبية في المستقبل .

إن حلم المصريين الشائع في القصص التي تُحكى للأطفال ، والتي تتعلق بالعثور على الكنز ، قد دمرتها المعاملة المهينة التي واجهها الذين عثروا على الكنز .. ولن يعلن أحد عن الآثار التي يكتشفها حتى لا يعامل «كلص آثار» بدلًا من تعويضه وتمجيده واعتباره «بطلًا قوميًّا» .

ومن باب «اللامعقول» في القانون المسمى بقانون «حماية الآثار» رقم 117 الصادر عام 1983 . أنه أباح للأشخاص حيازة الآثار حتى لو كان عددها آلاف القطع .

إن شخصًا واحدًا فقط كان بحوزته – وبالقانون – 80 ألف قطعة أثرية .. وشخصًا آخر كان في حيازته 59 ألف قطعة .. وقد حققت النيابة مع هذين الشخصين في اتهامات بتهريب قطع أثرية للخارج من القطع التي بحوزتهما .

وتقول الاتهامات إن هذين الشخصين وجهت إليهما اتهامات بتهريب 84 ألف قطعة أثرية !!

تلميذ يكتشف القطع المسروقة

إن قضية اختفاء الأعمال الفنية المكتشفة ليست جديدة علينا في مصر .. فقد كانت الآثار والتحف الفنية دائمًا هدفًا مغريًا للصوص ، وكان اكتشاف السرقة في معظم الحالات (سواء أكانت واقعة السرقة في مصر أم في الخارج) يتم عن طريق بلاغات من مجهولين أو بمحض الصدفة .. وغالبًا ما كان المرشد إلى مكان المسروقات شخصًا مجهولًا ..

في 9 ديسمبر عام 1958 وقف طالب ثانوي أمام ڤاترينة زجاجية بالمتحف المصري يقرأ البطاقة الدالة على محتوياتها ويحصي هذه المحتويات .. فلاحظ أن عدد السبائك الذهبية الموجودة بالڤاترينة ينقص سبيكتين عن العدد المدون على البطاقة وهو عشر سبائك ، وكشف التحقيق أن السبائك الثماني الباقية مزيفة

وليست من الذهب ، وإنما من النحاس الأصفر المطلي بالذهب .. أما السبائك الذهبية فقد سرقت .

وبجرد التحف الموجودة في الحجرة نفسها اتضح اختفاء أسورتين من الذهب يرجع تاريخهما إلى 200 سنة قبل الميلاد بالإضافة إلى 32 تميمة - حجاب - من الذهب كانت موضوعة في فاترينة أخرى بالحجرة نفسها .. وأظهر التحقيق أن الخزائن فتحت بطريقة طبيعية .

وفي اليوم التالي اكتشف اختفاء قلادة - عقد - من سبيكة - الإلكترون - التي كونها المصريون القدماء من مزيج الذهب والفضة .

وبعد ثمانية أشهر من هذا الحادث في أغسطس 1959 تم اكتشاف اختفاء عصا توت عنخ آمون بمحض الصدفة ، وذلك عندما لاحظ عالم الآثار السوفيتي - بتروفسكي - الأستاذ بجامعة لينئجراد وخبير اللغة الهيروغليفية - اختفاء العصا بعد أن قرأ عبارة مدونة على الفاترينة تفيد بأنها تحوي - 11 عصا عثر عليها في مقبرة توت عنخ آمون ، ولما راجع عدد العصِيِّ الموجودة في الفاترينة وجدها 10 فقط ، فأبلغ الأمر إلى أمين المتحف الذي تأكد بدوره من فقد العصا .. وهي من الذهب الخالص ويبلغ طولها مترًا ونصف المتر .. وترجع قيمتها الخاصة إلى أنها الوحيدة التي كتب عليها باللغة الهيروغليفية تعويذة كاملة لم يمحها الزمن تقول : « من يحمل هذه العصا تحل به بركة آمون ويمشي في ركابه » .

وعقب الحادث تم جرد المتحف المصري فظهر أن أكثر من 300 قطعة أثرية نادرة قد ضاعت ، وأن هناك مئات القطع غير مرصودة بالسجلات .. وحدد التحقيق زمن ضياعها بفترة العدوان الثلاثي عام 1956 عندما نقلت الآثار الثمينة إلى بدروم المتحف لمدة شهرين لحمايتها من الغارات الجوية فأغار عليها اللصوص .

وأثناء التحقيق في هذا الحادث عثر أحد الحراس على حلقة تضم جميع مفاتيح فاترينات وخزائن المتحف ملقاة في إحدى طرقات دار الآثار .. واتضح أن جميعها

مصنوعة في ألمانيا وفي المصنع نفسه الذي صمم ونفذ الأقفال لحساب مصلحة الآثار .

وقد تخطت خسارتنا في ذلك الوقت الآثار التي ضاعت إلى الأثريين الذين شملهم التحقيق ، فإن المرحوم الدكتور زكريا غنيم عالم الآثار الذي اكتشف هرم سقارة الناقص انتحر في يناير 1959 ، عندما أحس أن هذه التحقيقات ستؤدي إلى تلويث سمعته العلمية، ثم ثبت أنه بريء تمامًا من هذه الاتهامات .

وقد تمت أكبر حادثة سرقة تعرضت لها دار الآثار عام 1941 عندما كسر اللصوص زجاج الفاترينات وهي محفوظة في بدروم المتحف ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، وقد بلغ عدد القطع الأثرية المسروقة ، كما ورد في تقرير أحد المسئولين عن الآثار في ذلك التاريخ 26 ألف قطعة أثرية ضاعت خلال الفترة من 1936 حتى 1959 .. وأن 117 قطعة ذهبية نادرة القيمة لا يعرف مكانها .

عندما يبيت اللص داخل المتحف

أقيم بناء المتحف المصري (دار الآثار) عام 1902 «بميدان الإسماعيلية» ، الذي أطلق عليه بعد عام 1952 اسم «ميدان التحرير» .. ونقلت إليه الآثار التي كانت في متحف بولاق ثم الجيزة .. وكان عند افتتاحه يضم 133 ألف قطعة أثرية ..

وفي أواخر الخمسينيات بعد قيام الحكم العسكري لمصر سرقت سبائك من الذهب عبارة عن صنج ذهب كانت تستخدم للوزن ، وكانت الفاترينات قد فتحت بمفتاح مصطنع .

وفي شهر سبتمبر 1987 تخطى اللص كل أنظمة الحراسة بدار الآثار .. وتمكن من مغافلة حارس القاعة المجاورة للمخزن رقم 19 وقفز من فوق سور مرتفع جدًّا ودخل المخزن بحقيبته (الهاندباج) وبات في المتحف أكثر من مرة ، وتمكن من سرقة الآثار التي خرج بها دون أن يسأله أحد .

وقد اتضح من تحقيقات النيابة أن السرقة قد تمت بواسطة لصَّين ناما داخل

التوابيت بالمتحف عدة مرات ، وقد أعيدت 43 قطعة من التحف التي سرقاها ومن بينها تمثال سيتي الأول !!

وقد نشرت جريدة الأهرام في 14 مارس عام 1952 أنه قد اكتشف اختفاء ثلاث قطع أثرية مهمة من إحدى ڤاترينات القاعة رقم 22 بالمتحف المصري .

مخازن الآثار وأجور الخفراء تحرض على السرقة !!

في منطقة الأهرامات وسقارة يوجد 44 مخزنًا متحفيًّا وآلاف المقابر ، كما توجد خمسة مواقع لحفائر مفتوحة يحرسها 7 حراس فقط ، راتب الحارس 35 جنيهًا كل شهر في حين أن راتب عامل الحفر خلال ست ساعات عمل؛ تتخللها ساعة راحة: 7 جنيهات يوميًّا . لذلك لا يفكر أي شخص أن يتقدم للعمل كحارس للمخازن أو المنطقة الأثرية ، فليس هناك من يقبل أن يتحمل مسئولية حضارة بلد بأكملها من أجل 35 جنيهًا كل شهر !!

في حين أنَّ دخل صندوق التنمية الأثرية حقق ثلاثة ملايين دولار عن شهر يناير عام 1922 من منطقة الأقصر وحدها ، ويحصل المشرفون على الصندوق على نسبة 10% من إجمالي الحصيلة الخاصة بكل آثار مصر !!

حفائر الخلسة !!

وحول موضوع البعثات الأجنبية التي تقوم بالتنقيب عن الآثار ، يشترط أن يرأس البعثة عالم آثار متخصص مشهود له بالكفاءة والخبرة في مجال الحفائر ، وأن يكون تابعًا لمؤسسة علمية معروفة ، ويتم الحصول على تصريح بعمل حفائر من هيئة الآثار ، وتشترط الهيئة ألَّا تقل مدة عمل الحفائر عن شهر كحد أدنى ... وكل ما يتم خارج هذا الإطار فيطلق عليه اسم حفائر الخلسة .

في عام 1922 بلغت قضايا لصوص الآثار كما جاء في إحصائيات شرطة السياحة والآثار 128 قضية من بينها ضبط مخزن كبير بمنطقة الأهرام به أكثر من 30 تابوتًا

بحالة جيدة ، بخلاف قطع أثرية أخرى كانت معدة للتهريب ، ملفوفة وجاهزة!!
وفي أوسيم تم تفتيش مخزن يملكه صائغ معروف ، وضبط به 50 غطاء تابوت و33 تمثالًا لأشخاص من الخشب ، مع 12 تابوتًا كاملًا من الخشب ، وأجزاء من غطاءات التوابيت من الخزف والقيشاني و 11 صدرية من الخرز المشغول تستعمل في تغطية المومياوات وترجع للعصر الفرعوني المتأخر ، و 12 كيسًا من البلاستيك مملوءة بكميات من الخرز المختلف الأشكال والأحجام والألوان و 12 صندوقًا خشبيًّا خالية من النقوش ومملوءة بالتماثيل .

بالإضافة إلى تماثيل «أوشابتي» وكمية من عملات برونزية ، ترجع إلى العصر الروماني ، ولوحات من الحجر الجيري عليها نقش لعجول ، و(70) قطعة من القماش القبطي مختلف الأشكال .

ومن بين القضايا المهمة أيضًا ، لما حضر الألماني بيتر بيوريخ لمحاولة تهريب كنز من الآثار اليونانية والرومانية والإسلامية قام بتجميعها في ڤيلا بالمعادي ، وتم ضبط مجموعات من التماثيل، ومجموعات من الأواني الفخارية وأخرى من الزجاج، ومجموعات من المسارج ترجع إلى العصر الفرعوني والقبطي والإسلامي ، ومجموعات أخرى من اللوحات عليها رسومات ترجع إلى العصر الفرعوني ومنزوعة من المعابد . بالإضافة إلى مجموعة من النسيج القبطي ، وإناء على شكل إبريق (عصر إسلامي) ، وإناء من الرصاص خاص بحرق جسد الميت ، ولجمع رماد جثته وهذا الإناء فريد من نوعه ، ولا يوجد سوى إناء واحد منه موجود بالمتحف القبطي.

وقد تمكنت مباحث أمن المواني من ضبط أكبر عملية لتهريب الآثار المصرية من مطار الأقصر عام 1991 كانت تتضمن آثارًا نادرة جدًّا ترجع إلى ما قبل التاريخ أي قبل الملك مينا ، وعصر الأسرات ، وكان وراء هذه العملية عالم كندي كان يقوم بالتحضير لرسالة الدكتوراه بجامعة السوربون بفرنسا ، وموضوع رسالته «جمال مدينة طيبة» فحضر إلى مصر وبدأ التنقيب بأدوات متطورة دون الحصول على

تصريح من هيئة الآثار ، وكان معه شريك من أهالي المنطقة ، وبلغ عدد القطع الأثرية التي حاولا تهريبها 306 قطع ، وعندما تم استجوابه قال إنه حصل على هذه الآثار لعمل رسالة الدكتوراه في فرنسا حول جمال «طيبة التي يعشقها!!» وقد قام بالتنقيب لمدة ستة أشهر دون أي تصريحات ، ولم يعترضه أحد .

وفي العام نفسه تم ضبط آثار مهربة عن طريق البريد السريع الدولي قام بها سائح إنجليزي فوضع الآثار داخل طرد تم اكتشاف محتوياته أثناء تمريره على أجهزة الكشف بأشعة الليزر ، وكان يضم أربع أوان فخارية أثرية بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من القطع الأثرية صغيرة الحجم .

وفي مطار الأقصر أيضًا تم ضبط محاولة تهريب 371 قطعة عملة أثرية من عصر الحكم الروماني لمصر ، كان بطلها أحد كبار الموظفين بمطار الأقصر الذي وضع العملات داخل مقطف مليء بثمار الدوم ، والعملات داخل مظاريف مصنعة حسب تواريخ سكها وحسب الإمبراطور الروماني التي سُكَّت في عهده .. وتم ضبط محاولة أخرى للشخصية نفسها لتهريب 309 قطع أثرية مصنوعة من البرونز وترجع إلى عصر الحكم الروماني بالإضافة إلى 8 تماثيل حجرية ، وكشفت هذه المحاولة عن تجنيده لعدد كبير من موظفي المطار لمعاونته .

ومن أكبر القضايا قضية «الوادي الجديد» عندما تم ضبط عصابة لتهريب الآثار يتزعمها موظف كبير بديوان المحافظة ، يقوم بتجميع الآثار من صغار التجار ثم إعادة عرضها وطرحها للبيع ! وتقدم أحد ضباط إدارة البحث الجنائي على أنه أحد التجار الكبار القادمين من القاهرة لشراء ما بحوزته من آثار ، وبمداهمة منزل موظف ديوان المحافظة ، تم ضبط (كرتوناش) عبارة عن الرأس والصدر لسيدة ترتدي باروكة من الشعر الطبيعي ، وعليها نقوش ورسوم وكتابات باللغة الهيروغليفية على الصدر ذات ألوان مختلفة . و(2) كرتوناش عبارة عن رأس وصدر لسيدة أيضًا .. وكرتوناش آخر يمثل رأس سيدة والوجه مذهب بالكامل . و«إناء» من الحجر الرملي

عليه نقوش ورسوم تمثل الملك أزوريس وعلى رأسه تاج الوجه البحري . بالإضافة إلى دمية من الخشب عبارة عن طائر بألوان مختلفة ، ولوحة من الحجر الرملي مستطيلة الشكل عليها رسوم لطيور وحيوانات ، وبعرض المضبوطات على لجنة تفتيش الآثار بالوادي الجديد قررت بأن تلك المضبوطات أثرية ، وأنها ترجع لأحد العصور الفرعونية وهي مهمة لقيمتها الأثرية والفنية . وتم ضمها لمجموعة متحف الوادي الجديد بعد حبس موظف المحافظة بالطبع !

وأخيرًا نفاجأ بحادثة سرقة تمثال اللبؤة «سخمت» الذي يزن أكثر من نصف طن من قلب معبد موت بالصعيد ، بواسطة أربعة رجال فقط ، قاموا بوضعه على قطعة من الجلد وجروه وسط الحقول ، وبدلًا من أن يخفوه حتى تهدأ همة البحث عنه ، عجلوا بنقله داخل عربة بيجو لبيعه في القاهرة . ولكنهم وقعوا عند أول نقطة حراسة في الطريق !

* * *

سرقة لوحة «الموناليزا» لليوناردو دافنشي



الجيوكاندا أو «الموناليزا» للفنان دافنشي

سرقت لوحة «الموناليزا» التي اشتهرت باسم «الجيوكاندا» ، والتي رسمها فنان عصر النهضة الشهير «ليوناردو دافنشي» ، وعادت بعد عامين .. تمامًا كما حدث مع لوحة «أزهار الخشخاش» التي رسمها «فان جوخ» عندما سرقت من متحف «محمود خليل» خلال غربة هذا المتحف في قصر الأمير «عمرو إبراهيم» بالزمالك ، وبقيت في المجهول لمدة عامين حتى عودتها إلى مكانها في مجموعة «خليل وزوجته» .

الغريب أن أشهر لوحة في العالم خرجت من متحف اللوڤر بباريس - وهو أكبر متاحف العالم - في عز الظهر ، دون أن يستوقف السارق أحد ، بينما لوحة «أزهار الخشخاش» في السرقة الأولى لها سطا عليها لص محترف اقتحم المتحف ليلًا متسلقًا المواسير ...

* * *

تمثل اللوحات الشهيرة ثروات طائلة تغري اللصوص بسرقتها أكثر من إغرائهم بسرقة البنوك وخزائن النقود .. ومن حين لآخر تعلن وكالات الأنباء عن بيع لوحات فنية بملايين الدولارات ، وكان آخر رقم أعلنته وكالات الأنباء هو 83 مليون دولار دفعتها شركة يابانية مقابل إحدى لوحات الرسام الهولندي «فنسنت فان جوخ» من مجموعة لوحاته التي تصور زهور عباد الشمس .. مثل هذا الرقم يجعل التحف الفنية أكثر إغراء للصوص من أي كنز آخر .

ولهذا تعتبر لوحة «الموناليزا» أغلى من عدة بنوك مجتمعة ، فالجمهور يعتبرها أجمل لوحة فنية في التاريخ كما أن ابتسامتها الغامضة أثارت العديد من الحوارات والكتابات الأدبية.

ولد «ليوناردو دافنشي» صاحب هذه التحفة عام 1425 في مدينة فلورنسا وتوفي عام 1519 ، وكان قد سافر من إيطاليا إلى فرنسا حيث أقام في ضيافة ملك فرنسا فترة من الزمن ، واصطحب خلال هذه الرحلة لوحة «الموناليزا» .. وقد استقرت في متحف اللوفر بباريس بعد غزو نابليون لإيطاليا في بداية القرن التاسع عشر .

وقعت حادثة اختفاء هذه اللوحة من متحف اللوفر يوم 23 أغسطس عام 1911، ونشرت الصحف خبر «سرقة الجيوكاندا» دون أن تكون هناك أي معلومات أو تفاصيل عن حادث اختفاء اللوحة التي يعتبرها البعض أروع عمل فني شهدته أوربا .. وبعد فترة عرفت بعض المعلومات ، لكنها اختلطت بالحكايات الخرافية التي ابتدعها الصحفيون لإشباع فضول القراء ، ونشرت آراء خبراء الجريمة وآراء العارفين بخبايا عالم اللوحات الفنية . واحتلت هذه المواد الصحفية المواقع البارزة في كل صحافة العالم .. ومن المسائل التي أثارت الرأي العام هو الإعلان أن اكتشاف السرقة تم بعد مرور يوم كامل عليها ..ولما مرت الأيام والأسابيع دون الوصول إلى خيط يرشد إلى مصيرها أعلنت إحدى الصحف الصباحية في باريس عن مكافأة مالية لكل من يدلي بشهادة تكشف غموض الجريمة ، ثم أعلنت مجلة أخرى عن مكافأة قدرها عشرة آلاف فرنك لمن يساعد على إعادة اللوحة مع مكافأة أربع أضعافها لمن يرشد أحد صحفيي الجريدة إلى مكانها ، حتى لو اضطر لإخفاء شخصيته .. ويفهم من هذا أن المكافأة مرصودة للص الذي سرق اللوحة لإغرائه بإعادتها نظير هذا المبلغ الكبير دون أن يتعرض للعقاب .

* * *

أصبحت هذه السرقة هي حديث المجتمع الفرنسي بأكمله وتضاربت التصورات حول أسباب الجريمة ومصير الموناليزا . فقد سرقت اللوحة في وضح النهار من متحف اللوڤر الذي يتمتع بحراسة دقيقة .

تصور البعض أن مجنونًا سرقها ليحرقها ، وقال آخرون إن المعارضين للحكومة الفرنسية سرقوا اللوحة لإسقاط الحكومة ، وكان في فرنسا في ذلك الوقت حزب له تنظيم سياسي سري نشيط يطلق عليهم اسم «الفوضويون» .

وتكهن البعض بأن اللوحة تم تهريبها من فرنسا وأنها في طريقها إلى أحد أثرياء أمريكا الجنوبية ، وقال آخرون إنها وصلت فعلًا إلى بريطانيا ولم تتوقف التكهنات والاحتمالات عند حد .

خطة السرقة

يغلق متحف اللوڤر أبوابه في وجه الجمهور يوم الاثنين من كل أسبوع ، فهو يوم إجازته الأسبوعية التي يخلو فيها من المشاهدين ليقوم العمال والفنيون بأعمال النظافة والترميم والتجديد عندما يتقرر ذلك .

في يوم الاثنين 21 أغسطس عام 1911 كانت الأبواب الجانبية مفتوحة لحاملي التصريح الخاص من العمال والموظفين والفنيين ، وقد اندس بينهم شخص لا يحمل هذا التصريح وهو إيطالي الجنسية اسمه «فنستريو بيروجيا» وكانت هيئته لا تختلف عن هيئة عمال الصيانة فهو شاب عادي يرتدي بالطو العمال الأبيض فوق ملابسه..

إلا أن «بيروجيا» لم يحضر إلى اللوڤر لمهمة تتعلق بالعمل .. بل جاء خصيصًا ليسرق اللوحة الثمينة .

انضم في الصباح الباكر إلى مجموعة من العمال خارج المتحف ، وكان بينهم عدد من أصدقائه الذين تعرف عليهم حين عمل معهم منذ فترة وكانت مهمته هي تنظيف زجاج شبابيك المتحف ، رافقهم بشكل عادي إلى الداخل ، دون أن ينتبه أحد إلى أنه لا يحمل تصريحًا بالدخول .

ولما عبر الأبواب وأصبح في داخل المتحف انفصل عن العمال واتجه مباشرة إلى أشهر لوحة فنية في العالم : «الجيوكاندا» التي بهرت بجمالها الجمهور طوال خمسة قرون .

نزع اللوحة بسرعة من فوق الحائط واتجه إلى باب صغير يؤدي إلى سلم جانبي وجلس على السلم حيث أخرج قماش اللوحة من إطارها ولفها بقطعة من القماش القديم وترك البرواز على السلم وهبط إلى فناء داخلي له باب يؤدي إلى الطريق العام .

كان الباب مغلقًا .. فأخرج «بيروجيا» من جيبه مفكًّا وأخذ ينزع مسامير القفل بهدوء حتى انحل القفل من الباب ، وعندئذ سمع وقع أقدام مقبلة فوضع القفل في جيبه وجلس على أولى درجات السلم حتى مر به أحد عمال الصيانة فخاطبه «بيروجيا» بهدوء وطلب منه أن يساعده في فتح الباب . فتقدم السمكري بمنتهى المروءة وجذب ضلفة الباب ففتحها وحيا «بيروجيا» وهو خارج إلى الطريق متأبطًا اللوحة الشهيرة تحت معطفه!!

انفجر الرأي العام غاضبًا وتحدثت الصحافة عن الطريقة السهلة التي تمت بها سرقة أثمن الكنوز الفنية التي تملكها فرنسا .. وعرف أنه في يوم الجريمة لم يكن في المتحف سوى حارس واحد مكلف بحراسة «الجيوكاندا» في الصالون الفاخر المعلقة به اللوحة بالإضافة إلى الرواق الكبير المؤدي إلى هذا الصالون .. في حين أن الحراسة المقررة كانت تخصص حارسًا خاصًّا للجيوكاندا لا تغيب عن عينيه .

وقد أكد الكاتب الكبير الراحل «ألفريد فرج» في حديثه عن هذه السرقة أن متحف اللوفر لم يكن له في ذلك الوقت نظام يقضي بالتوقيع في دفتر خاص بالنسبة للعمال والموظفين . ولم يكن بالمتحف سجل خاص بحاملي تصاريح الدخول في غير أوقات استقبال الجمهور ، وأضف إلى هذا أن اللوحات لم تكن مثبتة على الجدران وكان للمسئولين وجهة نظر في هذا الأمر تتلخص في أنه من الضروري أن يكون من السهل رفع اللوحات في حالة اشتعال حريق . وهذا جعل من السهل أخذ اللوحة من مكانها وإخراجها من البرواز في دقائق معدودة .

لكن التعرف على هذه الظروف جعل المحققين يتجهون إلى ترجيح أن من قام بالسرقة لابد أنه كان يمتلك قدرًا من المعلومات التي لا يعرفها إلا أشخاص مطلعون على نظام المتحف الداخلي .

وأدى ذلك أن يعلن مدير الشرطة أنه سيحل لغز هذه الجريمة في دقائق ولن يفلت سارق «الجيوكاندا» .

وتم تفتيش قصر اللوفر والحدائق المحيطة به حتى الأسوار ، ولم يتم العثور على ما يرشد إلى مرتكب الجريمة .. كل ما عثر عليه هو البرواز الذي كانت به اللوحة .. كما أن التحقيق مع كل حاملي التصاريح الخاصة الذين كانوا في المتحف يوم السرقة لم يسفر عن نتيجة . واشترك الجمهور في البحث عن الجاني بحماس شديد فأدلى صبي بشهادته التي تتلخص في أنه رأى رجلين يحملان لفافة ويحاولان إخفاءَها .. وقال شخص آخر : إنه رأى صاحب محل لبيع التحف والأشياء القديمة يحاول بيع لوحة بها صورة امرأة .. وتقدم آخر بالشهادة بأنه رأى رجلًا مضطربًا يقفز في القطار الصباحي وهو يحمل طردًا صغيرًا ... ولكن كل الشهادات انتهت إلى لا شيء .

وقرر قاضي التحقيق يوم 26 أغسطس إعادة تصوير الجريمة بمساعدة شاهدين .. أحدهما هو السمكري الذي فتح الباب لـ «بيروجيا» بيده ، لكنه لم يستطع وصفه بدقة لأنه لا يعرفه . والآخر هو مسيو بوكيه الموظف بأحد مخازن التغليف الذي شاهد رجلًا متعجلًا يلقي بشيء ما خلف سور المتحف .. وبالتفتيش تم العثور في المكان على قفل الباب الذي انتزعه بيروجيا بالمفك . ولأن مسيو بوكيه شهد بأن الرجل أسرع بعدها نحو محطة المترو فقد ظن المحقق أنه ربما يكون الرجل نفسه الذي قفز في قطار بوردو الصباحي وهنا انتهت آثار اللص .

لكن الشرطة كانت تبحث في اتجاه آخر هو نظام البصمات ، وكان هذا النظام حديث العهد لم يستخدم على نطاق واسع في دوائر الشرطة ، وقام مكتشف نظام

البصمات بمضاهات بصمات اللص فوق إطار اللوحة مع بصمات كل العاملين بالمتحف ، فاكتشف بصمتين على الإطار لا تنتميان لأحد هؤلاء العاملين ، البصمة الأولى لإبهام اليد اليسرى والثانية لأجزاء من كف اليد اليمنى للص .. واستنتج المحقق من البصمتين أن الجاني لديه خبرة في نزع اللوحات من إطاراتها . فقرر فحص قائمة بكل من سبق له العمل بالمتحف.. وضمت القائمة 257 اسمًا كان أقربها للشك في أمره هو العامل «بيروجيا» الذي أسرع المحقق إلى تفتيش غرفته واقتياده للتحقيق . ولكن صراحة «بيروجيا» وثباته جعلت المحقق يخلي سبيله على الفور حيث لم يهتم حتى بتسجيل بصمات أصابعه .

وتقرر فصل مدير المتحف وفصل رئيس المستخدمين .. ولكن اللوحة لم يظهر لها أثر.

إخراج اللوحة من مخبأها

ظل «بيروجيا» في مسكنه الفقير ، يحيا حياته العادية كي لا يلفت الأنظار إليه .. وكان يختلي باللوحة ليلًا ويخرجها من مخبأها ليتأمل معشوقته الجميلة .. التي وقف العالم لسرقتها ولم يقعد بعد .. وقد قال «بيروجيا» للصحفيين فيما بعد : «لقد وقعت في غرامها . وسحرتني ابتسامتها الغريبة .. وقضيت أمسياتي غارقًا في جمالها أتأمل حسنها ، فكنت كل ساعة أكتشف فيها جمالًا جديدًا . وحسنًا لم يصفه أحد» .

وبرغم حديثه الشاعري ذاك للصحفيين فيما بعد ، فقد حاول «بيروجيا» بيع «الجيوكندا العزيزة» في لندن ؛ حيث عرضها للبيع على صاحب حانوت عاديات ، ولكن الرجل لم يصدق أنه هو فعلًا سارق الجيوكندا وظن أن اللوحة مزيفة ، فانصرف «بيروجيا» خائبًا ليعود إلى باريس . وبمرور الزمن هدأ حماس الناس ، وغرقت أنباء الجيوكندا في ضجيج أنباء الصراع الدولي المتأزم ، ثم احترق حديثها في لهيب التهديدات الدولية بإعلان الحرب.

وخف زحام الزائرين للصالون المربع الذي كانت تعرض به اللوحة ، ولم تعد جمهرتهم تتوقف بالساعات لتحملق مأخوذة في البقعة الداكنة المربعة التي كانت معلقة عليها اللوحة الثمينة .

عرض للبيع

في نوفمبر عام 1913 كان قد مضى عامان على حادث السرقة ، فقرر «بيروجيا» التصرف في اللوحة ، كان حديث الجريمة قد خفت وبهت ذكرها ، وربما كان اللص قد سئم وحدته مع سره الخطير .

كتب «بيروجيا» خطابًا إلى تاجر اللوحات الفنية الإيطالية «ألفريد جيري» بفلورنسا ، ووقع الخطاب باسم «ليوناردو» . قال «بيروجيا» في خطابه إنه يريد أن يعيد اللوحة إلى وطنها إيطاليا ، ولم يطلب نقودًا ، ولكنه ذكر أنه رجل فقير محب لوطنه .

وأطلع جيري صديقه «جيوفاني بوجي» على الخطاب ، وكان «جيوفاني» مديرًا لمتحف «أوفيزي» بفلورنسا .. فقررا دعوة ليوناردو والتحقق من صحة حديثه ، وضربا له موعدًا في العاشر من ديسمبر عام 1913 ، بعد أن عرضا عليه مبلغ نصف مليون ليرة مقابل اللوحة (حوالي 500 جنيه إسترليني) ، وكانت تساوي حوالي 75 ألف جنيه إسترليني بنقود ذلك الزمان !

وهكذا تم اللقاء في غرفة صغيرة بالطابق الثالث بفندق «طرابلس - إيطاليا» ، حيث حملق الرجلان في «بيروجيا» ، وهو يفتح صندوقًا ويعبث في قاعه بمخبأ سري ليسحب منه الجيوكندا ويعرضها أمام الضوء !

أصابت جيري وبوجي هستيريا من الفرح ، وأخذ اللوحة من «بيروجيا» لفحصها بواسطة خبراء والتحقق من أنها اللوحة الأصلية، وما أن وصلا إلى مكتب بوجي بمتحف أوفيزي حتى اتصلا هاتفيًا بالشرطة التي داهمت الفندق على الفور واقتيد «ليوناردو» إلى السجن .

لم يفقد «بيروجيا» ثباته ، قال للمحقق إنه لم يفعل ما فعل إلا لمجد إيطاليا ، وانتقامًا من نابليون الذي سرق اللوحة من وطنه وأهداها إلى اللوڤر !

عودة الغائبة

طيَّرت الوكالات النبأ في كل أنحاء العالم ، فعم الدنيا فرح غامر ، وصلى البابا بيوس العاشر صلاة شكر لله على أن اللوحة وجدت سالمة ، وتوقفت المناقشات الحادة في مجلس النواب الإيطالي ليعلن رئيسه النبأ ويفض الجلسة بعدها ، وتجمهر الناس حول متحف اللوڤر ، وتوجه السفير الفرنسي بروما إلى مكتب رئيس الوزراء لتقديم الشكر والتقدير من حكومته ، ونزع فندق «طرابلس - إيطاليا» لافتته ورفع بدلًا منها لافتة باسمه الجديد «فندق جيوكندا» !

كان الظن أن الحكومة الإيطالية ربما تريد الاحتفاظ بالجيوكندا ولو مؤقتًا ، ولكن مجلس الوزراء أصدر تصريحًا عاجلًا يقول :

«ستسلم الجيوكندا إلى السفير الفرنسي بكل التقدير الذي يستحقه ليوناردو دافنشي وبكل السرور الذي تستحقه ابتسامة الجيوكندا» .

كانت إيطاليا تمر بظروف سياسية متأزمة ، وقد انقسم فيها الرأي حول دخول الحرب وشيكة الاشتعال إلى جانب ألمانيا والنمسا أو إلى جانب بريطانيا وفرنسا .. (الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918) .

وقد فسر بعض المؤرخين موقف إيطاليا من إعادة الجيوكندا بأنه كان مظاهرة سياسية المقصود منها تدعيم الرأي العام المؤيد للتحالف مع فرنسا وبريطانيا .

وعرضت الجيوكندا لمدة شهر في متحف أوفيزي حيث شاهدها 30 ألف شخص. تزاحموا في غرفة العرض الضيقة ووقعت بينهم مشادات كثيرة ، وذرف بعضهم الدموع تأثرًا .

ثم عادت الجيوكندا إلى مدرسة الفنون الجميلة بباريس وتعرضت لفحص دقيق

انتهى بإصدار شهادة رسمية بأنها اللوحة الأصلية .

وفي 4 يناير عام 1914 علقت اللوحة مكانها باللوفر تحت حراسة مشددة .. حيث لاتزال إلى يومنا هذا .. تحيطها أكثر أجهزة التكنولوجيا تقدمًا في نظم الحراسة .

المحاكمة

لم يتعذب «بيروجيا» كثيرًا في سجنه ؛ فالجمهور أمطره بالهدايا والرسائل الرقيقة والنقود.

ومثل أمام المحكمة في يونيه من العام نفسه ، حيث وقف في القفص هادئًا مطمئنًّا وأجاب عن سؤال المحكمة بأنه مذنب .

وتحدث «بيروجيا» طويلًا عن مجد إيطاليا وعن سرقة نابليون للوحة الجيوكندا من وطنها ، وهي قضية غير صحيحة ، فالحقيقة أن ليوناردو دافنشي باع لوحته إلى ملك فرنسا «فرانسيس الأول» في أوائل القرن السادس عشر بأربعة آلاف فرنك ذهبي من نقود زمانه! ولكن «بيروجيا» لم يهتز لهذه الحقيقة حين سمعها من ممثل الادعاء، ولم يكف عن تمثيل دور البطل الوطني ، واحتج أمام المحكمة على معاملته كمجرم .

وحاول الادعاء تسخيف هذا الدور الذي يمثله «بيروجيا» ، وكشف عن محاولاته بيع اللوحة في بريطانيا ثم في إيطاليا ، كما كشف أن «بيروجيا» قد أدين مرتين قبل سرقة الجيوكندا في حادثي سرقة .

ومع ذلك فقد حكمت المحكمة على الفتى المغامر بالسجن سنة وخمسة عشر يومًا.. وهي المدة نفسها التي كان قد قضاها في السجن تحت التحقيق ورهن المحاكمة .. ومعنى هذا أن المحكمة حكمت بالإفراج عنه ، وهلل الجمهور في القاعة وهتفوا له في الشوارع !!

بحيرة كومو

بعد الإفراج عنه بوقت قصير التحق «بيروجيا» بالجندية وخدم طوال الحرب ، فلما انتهت الحرب وسرح عاد إلى باريس !

ولكنه سرعان ما عاد إلى وطنه وتزوج وافتتح محلًّا لبيع الإنتاج الفني على شاطئ بحيرة كومو الساحرة .

إن أحدًا لم يستطع أن يؤكد هل كان «بيروجيا» لامع الذكاء ، أم كان غبيًّا .. هل كان لصًّا معتادًا على السرقة أم متذوقًا للفن ووطنيًّا .

الأمر الأكيد أن «بيروجيا» قد ارتكب أخطر جريمة سرقة فنية ولم يترك وراءه أثرًا واحدًا يرشد عنه الشرطة!

واكتسبت الجيوكندا إلى جانب ابتسامتها الساحرة الغامضة .. حكاية أخرى لا تقل غموضًا .

لكن هناك حكاية أخرى يرويها الفيلم التليفزيوني الذي يستعرض أشهر السرقات من المتاحف .. تقول هذه الحكاية إن السرقة قام بها عدة أشخاص باتوا في متحف اللوفر ليلة السرقة مؤكدين أن «بيروجيا» لم يكن بمفرده حتى تقرر إعادة اللوحة .. إنها حكاية أخرى أكثر غموضًا !!



إحدى لوحات الفنان الفرنسي «تولوز لوتريك»

سرقات من المتاحف العالمية

إحصائيات عن لصوص المتاحف :

في عام 1937 اشترى الممثل السينمائي الشهير «إدوارد ج روبنسون» لوحة للرسام الفرنسي «سيزان» بما يساوي 125 ألفًا من الفرنكات الفرنسية .. وبعد عشرين عامًا أي عام 1957 باعها بمليون فرنك !! هذا الربح الوفير يمثل إغراء شديدًا لاقتناء الأعمال الفنية، وتنشيط المزيفين واللصوص .. التقديرات التي أعلنتها حكومة الولايات المتحدة تشير إلى أن مجمل نشاط سرقات الفن يصل إلى بليونين من الدولارات في العام الواحد ويحتمل أكثر .. بينما متابعة التقارير التي تنشرها المجلات الإنجليزية المتخصصة ترفع هذا التقدير إلى ستة بلايين دولار سنويًّا! كما أن سرقات الفن قد ارتفعت بنسبة 300% في نيويورك وحدها بين عامي 1988 ، 1990 .

من الإحصائيات المثيرة للقلق أن الشرطة الإيطالية المتخصصة في مطاردة لصوص الأعمال الفنية في روما والتي يعمل بها قوة تزيد على 100 شرطي متخصص. تسجل ما بين 20، 30 حادث سرقة جديد يوميًّا . كما تمت تغذية الكمبيوتر بـ 64 ألف حالة ، ومع هذا التزايد المستمر في السرقات الفنية ينتشر الوسطاء السريون وتجار اللوحات التي لا يعلم أحد عن مصدرها شيئًا .

إيطاليا وقعت بها 253 ألف حالة سرقة فنية مسجلة في محاضر الشرطة في العشرين عامًا من 1970 حتى 1990 نصفها وقع في كنائسها .. وتقدر الإحصائيات

أن السرقات التي وقعت في أوربا خلال عام 1989 يبلغ 60 ألف عمل فني وأثري لا يقل ثمن أحدها عن عشرة آلاف دولار أمريكي .. وتختفي في إنجلترا وحدها سنويًا خمسة آلاف لوحة فنية!!

ورغم النشاط الدائم لضبط المسروقات بأسلوب يتسم بالعنف في معظم الأحوال، لا تزيد نسبة استعادة المسروقات في إيطاليا على 50% وتقل عن 30% في فرنسا، أما بالنسبة لنشاط البوليس الدولي (الإنتربول) فتقل النسبة عن 10%.

أشهر السرقات من المتاحف

في شهر مارس عام 1967 اختفت لوحة «عازف الناي» للرسام «فرانز هال» من مجموعة لوحات أحد مشاهير هواة اقتناء اللوحات الفنية في سويسرا .. ثم عثر عليها في محطة قطار مدينة «جنيف». وتعتبر تلك الحادثة امتدادًا لسلسلة طويلة من المغامرات المذهلة في ميدان سرقة اللوحات والتحف الفنية .

في ديسمبر عام 1988 سرقت ثلاث لوحات للفنان «فان جوخ» من متحف مولر في هولندا الذي تحيطه حديقة جميلة مترامية الأطراف بمدينة أمستردام .. وقد استعاد المتحف إحدى اللوحات بعد أربعة أشهر في أبريل 1989، وطلب اللصوص فدية لتسليم اللوحتين الباقيتين قدرها 2.5 مليون دولار . ومع أن الفدية المطلوبة معقولة جدًا بالنسبة لأعمال أغلى فنان في العصر الحديث ، ويزيد ثمنها في السوق على مائة وستين مليون دولار. فإن البرلمان الهولندي رفض الصفقة ، ومازال مصير التحفتين في علم الغيب .

وفي مركز الفن الحديث بمدينة زيورخ السويسرية دخل ثلاثة زوار أبرياء المظهر، شرعوا يتأملون اللوحات المعلقة على الجدران ، وبينما يثرثر اثنان منهم مع صاحب المكان ، تحيَّن الثالث الفرصة ليتأبط لوحتين لبابلو بيكاسو يقدر ثمنهما بـ 41 مليون دولار أمريكي، وينصرف دون أن يلحظه أحد .

اللص الذي أزعجه الترميم السيئ

في 11 يونيو عام 1939 ، دخل إلى متحف اللوفر مرشد سياحي يقود مجموعة تتكون من عشرين زائرًا ، وبعد أن تجمع زواره وتأهب للحديث ومد ذراعه مشيرًا نحو الجدار وقف وفمه مفتوح لا يتكلم .

لم تكن اللوحة التي تهيأ للتعليق عليها موجودة في مكانها . لقد اختفت لوحة «اللامبالي» للرسام «فاتو» لم يكن على الحائط سوى منطقة لونها فاتح ومساحتها 20 × 25 سم ، ثم قطعة من السلك ملفوفة حول مسمار . وصرخ الحارس وهو يهرول قائلًا : «لكنها كانت هنا منذ لحظة لقد رأيتها بنفسي!» .

ودوت أجراس الإنذار ، وأغلقت الأبواب على جمهور الزوار ، وأخذ الحراس يركضون في كل اتجاه .

فضيحة ! هكذا كانت الصرخة التي ترددت في الصحف التي هاجمت المسئولين في متحف اللوفر بطريقة عنيفة ، ونادت بكشف تلك الإدارة المنهارة التي تترك المتاحف مفتوحة لينهب منها ما يشاء ، وأدانت عدم الكفاءة والإهمال .. وبلغ الأمر بإحدى الصحف أن وجهت الدعوة إلى لصوص العالم لكي يغترفوا من ثروات فرنسا القومية .

وقد اكتملت قصة تلك اللوحة في مشاهد متتالية ، وكشفت عن قصة أغرب منها .. في 14 أغسطس 1934 قام مجهول بالاتصال بجميع الصحف الباريسية يقول فيها أرسلوا مندوبين ومصورين بعد ظهر اليوم إلى المحكمة الرئيسية ، ولن تندموا على ذلك» .

وبالفعل رأى الناس شابًا نحيلًا يصل إلى النيابة يحيط به أربعة محامين ويحمل على صدره لوحة الرسام «فاتو» التي اختفت من متحف اللوفر وقال «أُدعى سيرج - كلود يوجوسلافسكي» . وأنا الذي سرقت لوحة «اللامبالي» .. وأنا أعيدها اليوم بكامل رغبتي حتى أجنب البوليس الفرنسي تبديد قواه .

لكن من هو كلود يوجو؟ ولماذا سرق لوحة فاتو؟ هذا الفتى الشاب الذي يبلغ عمره 24 سنة، كان ابنًا لترزي من أصل روسي ، وقد ماتت أمه ، اشتغل وهو طفل صبي لسمكري، ثم جرسونًا في مقهى ، وعاملاً في سينما، وصانع رتوش عند مصور فوتوغرافي، وكان غرامه الوحيد هو القراءة ، ومن مطالعته للشاعر بودلير تعرف على الرسام «فاتو» الذي انتهى به الأمر إلى أن يحمل له غرامًا خاصًّا .

وحين بدأ يمارس الرسم ، وصل إلى حد التخصص في لوحات «فاتو» فكان يقضي الأيام في اللوفر يفحص ، وينتقد أعمال المتخصصين المكلفين بترميم لوحاته .

وأصبح يحملق في لوحة اللامبالي ساعات طويلة ؛ فقد صارت تجسد في نظره عبقرية الرسام فاتو . وعندئذ لاحظ شيئًا أفقده صوابه .. فبحجة الترميم شوهوا جمال لوحة «اللامبالي» . الخد والساق والظهر كلها في نظره قد تلطخت بالألوان . وعندئذ اتخذ بنفسه قراره الخطير ، وهو أنه سوف يصلح الأخطاء التي تثير سخطه، ولكي يفعل هذا فلابد من حمل اللوحة إلى مسكنه !!

السطو على متحف بوسطون

مازال عشاق الفنون الجميلة يذكرون بمرارة الحادث الذي وقع في مدينة بوسطن عندما تنكر لصَّان في زي رجال الشرطة ، فدخلا «متحف إيزابللا ستيورات جاردنر» وربطا الحارسين . ثم هربا بغنيمة لا تعوض تضم ثلاث لوحات للرسام «رمبرانت» وخمس لوحات «لإدجار ديجا» رسام راقصات الباليه – وواحدة «لإدوار مانيه» زعيم المذهب التأثري ، ولوحة شهيرة للفنان «فيرمير» ... واستغرقت السرقة ثلاث ساعات، واختفت ثروة فنية لا يمكن تعويضها تقدر بمائتي مليون دولار أمريكي وتعتبر من أكبر الجرائم في تاريخ سرقات الأعمال الفنية .

قائمة بالمسروقات المطلوبة !

نشرت هذه القصة في مجلة تايم الأمريكية الصادرة في 25 نوفمبر 1991، ووقعت أحداثها أثناء الليل في إيطاليا يوم 2 فبراير عام 1990 ؛ حيث هاجمت مجموعة من الرجال الملثمين ستة حراس غير مسلحين ، كانوا يحرسون مخزنًا به كنز من آثار مدينة «بومببي» التاريخية التي دمرها بركان فيزوف سنة 79 ميلادية، عندما تساقط عليها رماد البركان الساخن فردمها وتحولت كل المواد العضوية بها إلى أحجار صلبة؛ البشر والأثاث الخشبي والحيوانات وأمثالها .. وبعد 1800 سنة تقريبًا ، اكتشفتها الحفريات ووجدنا بها نموذجًا متحجرًا للحياة والفن عند الرومان في القرن الأول الميلادي .. المخزن الذي كانت به هذه الآثار المكتشفة اقتحمه اللصوص المسلحون وقضوا به أربعة ساعات في اختيار التحف التي يطلبونها من مجموع محتويات المخزن . كان معهم كتالوج به صور التحف المطلوبة لتاجر الآثار الذي كلفهم بإحضارها وقاموا باختيار 223 قطعة يقدر مجموع ثمنها بـ 18 مليون دولار أمريكي .

ويتابع محرر مجلة تايم «جيمس والسن» حديثه فيقص حكاية ثانية حدثت في هولندا ليلة 14 أبريل عام 1991 ، عندما أغار لصوص مسلحون على متحف «فان جوخ» في أمستردام .. وأبطلوا وسائل الإنذار وأوثقوا الحراس ثم اختطفوا عشرين لوحة يقدر ثمنها بـ 500 مليون دولار أمريكي خلال 45 دقيقة .. إلا أن العربة التي كانت تنتظرهم تعطلت ومنعتهم من الإفلات بالغنيمة ، وكانت فعلتهم أقصر حوادث السرقة عمرًا في التاريخ .. ومن المسروقات التي أمكن استعادتها بعد 35 دقيقة فقط لوحة «آكلو البطاطس» لفان جوخ التي اختفت سنة 1998 من متحف هولندي آخر .

حوادث النهاية السعيدة

في 13 أبريل عام 1961 في ضاحية «سان بول دي فانس» بباريس ، سرقت 24

لوحة من ڤيلا تاجر اللوحات «إيميه مايخت» . ولكن رحلة تلك الأعمال الفنية كانت قصيرة جدًّا ؛ فقد استوقف شرطيان - كانا يطاردان سارق أرانب - هؤلاء الأشخاص المجهولين ذوي الحركات المريبة ، وقد لاذو بالفرار تاركين سيارتهم باللوحات الـ 24 بين أيدي رجال الشرطة ، ولكنهم لم يتمكنوا من الفرار النهائي ، حيث تم القبض عليهم بعد ذلك .

حبس اللص لأنه ضيع البرواز

معروف أن اللص الذي يعمل بمفرده يصعب الإيقاع به ودوافعه الخاصة تجعله أكثر جرأة وأقدر على الابتكار .

اللص الذي حمل عام 1961 لوحة «وجه الدوق ويلنجتون» الذي رسمه الفنان الأسباني «جويا» للقائد الإنجليزي الذي هزم نابليون ، كانت لدى هذا اللص أسباب خاصة دفعته للقيام بهذه السرقة .

وقصة هذه اللوحة أن الحكومة البريطانية تدخلت لتمنع خروجها من بريطانيا، فاستخدمت حقها في الشراء الإجباري - مثل الشفعة عندنا - مقابل ما يساوي مليون و 960 ألف فرنك فرنسي وقامت بعرضها في متحف «الناشيونال جاليري» بلندن لتكون متاحة لتراها الجماهير .. لكن اللوحة اختفت يوم 21 أغسطس 1961 . وقد اقتحم اللص المتحف عن طريق نزع بلاطة في دورة المياه في نهاية أحد الممرات بالمتحف .

بعد عدة أيام أعلن مختطف «دون ويلنجتون» عن طريق الصحافة : «اللوحة في حالة جيدة، وسوف تعود إلى المتحف مقابل فدية قدرها ما يساوي مليون و 960 ألف فرنك ترصد للأعمال الخيرية» .

ونلاحظ طبعًا أن المبلغ المطلوب هو المبلغ نفسه الذي دفعته الحكومة البريطانية تجنبًا لتسرب اللوحة إلى الخارج .

لكن أحدًا لم يجد إغراء في النداء الذي وجهه اللص ، فلما لم يجد استجابة أرسل خطابًا آخر في يوليو 1962 يؤكد فيه أن اللوحة بحالة جيدة «ولكن مستقبل الدوق غير معروف» . ولم يرد عليه أحد ومرت سنة أخرى قبل أن يقترح اللص- وقد غلب على أمره- وسيلة جديدة لبلوغ أهدافه : «فلتتبرع كل جريدة بريطانية لأعمال البر بما يساوي 350 فرنكًا عن كل ألف نسخة مباعة منها!» . ولم يحدث أي رد فعل وعند ذلك قدم اللص - الذي لم يعرف قيمته أحد - اقتراحه الأخير : «إنني لا أطلب شيئًا باهظًا فسوف ترجع لوحة «جويا» إذا حدث التزام رسمي بعرضها لمدة شهر لصالح أعمال البر والإحسان» .

وبعد شهر ونصف سلم اللص سيئ الحظ نفسه للبوليس . وكان يُدعى «كيمبتون» وعمره 51 سنة، وهو سائق عاطل كان يعمل على عربة شحن . وقد قال موضحًا : «كنت آمل أن يسمح لي «دوق ويلنجتون» أن أصنع رصيدًا نستطيع بفضله إعفاء العجزة والمعوزين من دفع ضريبة التلفزيون !» وقد بلغ الأمر حد دخوله السجن بسبب رفضه دفع الضريبة وتسديد الغرامات .. ورغم إعادته للوحة الرسام «جويا» دون أن تصاب بضرر ، فقد حكم القاضي على السارق مع ذلك بالسجن ثلاثة أشهر لأنه حين رد اللوحة كان قد أضاع بروازها !! .

إعادة اللوحة المسروقة لأنها مزيفة !!

وكان حب الفن هو الدافع وراء سرقة اللوحة المسماة «أجانا شوين هوفن» من إحدى قاعات عرض اللوحات المرسومة بالألوان في روما . وهذه اللوحة الهولندية التي يرجع تاريخها للقرن السادس عشر والمنسوبة إلى الرسام «جان فان سكوريل» نالت شهرة مفاجئة حين وصل خطاب إلى المسئولين عن المتحف يقول فيه صاحبه : «دققوا النظر في لوحة فان سكوريل إنها لوحة مزيفة صنعتها بنفسي ووضعتها مكان اللوحة الأصلية» .

وفحص المسئولون اللوحة عن قرب فكان عليهم أن يعترفوا بالحقيقة وهي أنهم أمام نسخة مقلدة بإتقان . لم يلاحظ أحد كيف تم استبدال اللوحة الأصلية بالمزيفة إلا بعد أن قام اللص بتوضيح الأمر بنفسه في رسالته التي ذكر فيها أنه دخل إلى القاعة بثوب راهب صنعه بنفسه ، وقد سمح له هذا الزي بإخفاء اللوحة بين طياته إلى جانب أنه أضفى عليه مسحة من المهابة والاحترام ، ويضيف اللص في خطابه قوله : «ولكنني قد بذلت كثيرًا من العناء على الفاضي، فما كنت أشك فيه دائمًا قد تأكد لي على نحو قاطع بكل أسف : إن لوحة الرسام فان سكوريل التي كانت لديكم هي لوحة مزيفة . ولست أتحدث عن تلك التي قمت برسمها والتي تعلقوها حاليًّا ، وإنما أتحدث عن لوحتكم الأصلية التي في حوزتي حاليًّا ! ولما كنت لا أحس بأي اهتمام نحو ذلك الرسم الرديء والعديم القيمة ، فإنني أعيده لكم عن طيب خاطر» . ثم كتب بعض الإرشادات المحددة لاسترداد اللوحة ووجدها مديرو المتحف خلف عامود في إحدى الكنائس .

ورغم تأكيد الخبراء بأن اللوحة أصلية ولم تزيف ، فإن الشك مازال يساور الكثيرين عن مدى أصالتها .

20 مليون دولار تأمين عطلت الصفقة !!

من الأحداث المثيرة والشهيرة في الوقت نفسه ، ما جرى مع متحف «جيتي» في كاليفورنيا بالولايات المتحدة ، حين اشترى بعض الأقنعة التي ترجع إلى العصور الإغريقية والرومانية مع تمثال عملاق لإلهة الجمال عند الإغريق أفرديت ، من وسيط في لندن له شهرة واسعة ومكانة مرموقة .. اقتناها بدوره من شخصية غامضة في سويسرا . لا يعرف أحد قيمة الصفقة بالضبط ، لكن الذي عرف هو قيمة التأمين على التمثال وحده ، فقد بلغت عشرين مليون دولار أمريكي . وحين علمت الشرطة الإيطالية بالأمر لم تترك خيطًا يقود إلى أطراف الصفقة إلا وتتبعته . حتى وصلت

إلى الفعلة الذين قاموا بالحفريات حتى وصلوا إلى المقبرة التاريخية وأخرجوا منها التمثال النادر .. وبمساءلتهم اعترفوا صراحة بأن حفر المدافن الأثرية والاستيلاء على محتوياتها يتم بانتظام تحت إشراف مندوبين من عصابات المافيا في جنوب إيطاليا .. ولم يتسلم المتحف الصفقة في انتظار انتهاء التحقيقات الإيطالية حول هذا الموضوع .

سقوط النسخة المزيفة على الأرض !!

في مساء يوم دافئ من شهر أبريل عام 1964 ، وفي قاعة الفن الحديث بمتحف «قصر بيتي» فوجئ بعض الزوار الذين كانوا يتأملون لوحة للرسام «جيورجيو موراندي» التي كان يداعبها شعاع من ضوء الشمس ؛ أن اللوحة بدأت تسقط من إطارها دون أن يقترب منها أحد ، ومع ذلك فإنها خرجت من إطارها وهبطت ببطء إلى الأرض .. وهرول بعض الحراس يرفعونها من مكان سقوطها فوجدوا أن بعض الأوراق المصمغة الملصقة بها قد جفت بسبب دفء شمس الربيع ، وقد كتب خلفها بخط رديء كلمات بالإنجليزية تقول (شكرًا للجميع . إنني أعيد موراندي ، 18 مارس 1964) .

اتضح أن اللوحة هي صورة منقولة عن الأصل ، وقد سرق أحد اللصوص لوحة موراندي ووضع مكانها تلك المقلدة التي قام بتثبيتها في الإطار الأصلي بواسطة شريط من الورق اللاصق . وكان رواد المتحف لا يفطنون إلى الفارق بين اللوحة الأصلية واللوحة المزيفة حتى عمل دفء شمس أبريل على تجفيف الأوراق المصمغة لتسقط النسخة على الأرض .

سرقة على الطريقة اليابانية !!

كان الحرامي الياباني الذي سرق لوحة الرسام «رينوار» في طوكيو ، يرى أنه أمر غير أخلاقي أن يتمتع الأثرياء من جامعي اللوحات بالفرجة على كنوز الفن وحدهم بطريقة أنانية ، بينما تلك الكنوز من حق الناس جميعًا .

لذلك قام بسرقة لوحة رائعة الجمال للرسام الفرنسي «أوجست رينوار» من مجموعة لوحات أحد كبار رجال الصناعة بطوكيو عاصمة اليابان . ثم كتب إلى الصحف يقول : «قمت بجولة في المتحف فلم أجد به أي عمل من رسم الفنان رينوار . ولن أرد هذه اللوحة إلا بشرط واحد : أن يقدمها صاحبها هدية إلى المتحف أو أن تعرض في مكان عام يجعلها متاحة ليتمتع بجمالها كل الناس» . وحين وافق رجل الصناعة على قبول تلك المساومة جاءته مكالمة تليفونية من مجهول تخطره بأن عليه أن ينتظر حتى صباح اليوم التالي؛ ليبحث عن اللوحة في عربة واقفة في أحد الشوارع ، وهي من عربات الأيس كريم . فوجد الرجل لوحته مدفونة في الثلج داخل شنطة التبريد بالعربة .

وما يثير الإعجاب في تلك القصة أن رجل الصناعة قد أوفى بوعده ويعرض الآن متحف طوكيو لوحة للرسام «رينوار» ، لم تكلفه شيئًا جاءته هدية من جامع لوحات ثري ومعروف للجميع ، ومن لص لا يعرفه أحد على الإطلاق .

آثار الفن وحوادث الاعتداء عليها ..



تمثال «الرحمة» للفنان ميكل أنجلو (البيتا) وهو من الرخام بكنيسة الفاتيكان

تخريب الأعمال الفنية
آثار الفن وحوادث الاعتداء عليها

قدم متحف ديجكس «بأمستردام» في 26 مارس عام 1977 ، إلى ممثلي الصحافة، رائعة رامبراندت الشهيرة (طواف الليل) بعد الانتهاء من ترميمها ، على أثر الاعتداء الأثيم عليها، في سبتمبر 1975 ، وتمزيقها بالسكين. وقد وُفِّقَ المرممون إلى إعادتها إلى حالتها الأصلية بالتمام. وأما المعتدي «ويلهلموس دي ريجك» ، أستاذ التاريخ البالغ الثمانية والثلاثين من العمر والذي كان يشكو منذ زمن طويل، من اختلال في قواه العقلية، فقد انتحر خلال أبريل عام 1979، في مستشفى المعتوهين .

لقد نشرت غالبية الصحف نبأ انتحار ريجك، في بضعة سطور ، على صفحاتها الداخلية ، بينما كانت الصحافة العالمية قد كرست عناوينها الضخمة على صفحاتها الأولى لنبأ اعتدائه الأثيم، كشأنها عندما أعلنت عن الاعتداء على رائعة مايكل أنجلو «لابيتا» في حاضرة الفاتيكان خلال عام 1972 ، وعلى رائعة بيكاسو «جورنيكا» في نيويورك خلال عام 1973 .

تزايدت الاعتداءات على الأعمال الفنية ، في غضون العقود الأخيرة تزايدًا لا تُعرف حدوده بالضبط ؛ لأن الموظفين المسئولين عن المتاحف لا يحبون التصدي كثيرًا لهذه المسألة. فمعظمهم يتبنون في هذا المجال ، رأي «وليام بوستيك»، مدير معهد الفنون الجميلة في ديترويت ، الذي يعارض معارضة حازمة القيام بأدنى دعاية لصالح المعتدين ، ويعتبرها بمثابة «تحريض لهم على ارتكاب اعتداءات أخرى» .

ويلاحظ تريفور وليامز ، الشرطي السابق في سكوتلاند يارد ، والمسئول الحالي عن أمن المتاحف الوطنية البريطانية ، أن الاعتداءات على آثار الفن في هذه المتاحف قد تفاقمت في عام 1975 .

ويذكر من بين الاعتداءات المماثلة التي وقعت في لندن ، ذلك الرجل الذي رفس برجله إناءً أثريًّا من الفخار في المتحف البريطاني ، فدمره ، وذلك الرجل الآخر الذي ألقى بحذائه على الآثار المعروضة في المتحف البحري بجرينتش ، وكان قد قذف ، من قبل ، إناء من الألوان السائلة على مجموعة من البلور المقطوع في متحف فكتوريا وألبرت .

ومثل هذا التكرار في ارتكاب الاعتداءات ، أمر يعرفه أيضًا أمناء المتاحف الباريسية. فالرجل الذي اعتدى منذ بضع سنوات ، في متحف اللوڤر . على رائعة روبنز «العذراء المحاطة بالأبرياء القديسين» ، هو نفسه الذي شوه رائعة ميليه «الأنجلوس» قبل الحرب العالمية الثانية .

وفي باريس كما في سواها من المدن ، كثيرًا ما يؤْثِر الأئمة الاعتداء على روائع العراة من النساء . ويجب ألا نستنتج من ذلك أن المعتدين هم دائمًا من الرجال. فمن أشهر الاعتداءات على إحدى هذه الروائع ، ذلك الذي ارتكبته المدعوة «ماري ريتشارد صون» في عام 1914 على رائعة فيلاسكيز «الزهرة في المرآة» في «الناشيونال جاليري » بلندن ، احتجاجًا على حبس «إيملين بانكهورست» ، المطالبة الشهيرة بحق التصويت في الانتخابات للنساء .

ويتحدث السيد «ميشيل لاكوت» المحافظ الرئيسي لقسم اللوحات الزيتية في اللوڤر ، عن الاعتداءات الصغيرة ، بواسطة الدبوس ، على الروائع ، فرائعة انجر «الحمام التركي» كثيرًا ما كانت ضحية اعتداءات من هذا النوع ، وهي اليوم معروضة في غلاف من الزجاج ولكن اللوڤر لم يغلف ، بالطبع ، جميع «عراته» على هذا الشكل بينما يؤكد السيد يوستيك أنه «يستحيل عرض العراة في دترويت من غير أغلفة زجاجية» .

وقضية هذه الاعتداءات قديمة قدم الزمن ، وربما كان أشهرها اعتداء أروسترات، في ليلة مولد الإسكندر الأكبر (21 يوليو 356 قبل الميلاد) عندما أضرم النار في مبنى أرتميزيون بمدينة إيفيز اليونانية (وهو الأثر المعروف أيضًا باسم معبد ديانا، وكان يعد آية في الجمال) .

وعندما أُلقي القبض على هذا المعتدي صرح بأنه أقدم على ارتكاب جريمته لكي يخلد ذكراه ، وقد خلدها بالفعل .

وبعد انقضاء ألف وثلاثمائة سنة ، جاء دي ريجك يتذرع بالسبب نفسه تبريرًا لجرمه ، فقال لرجال الشرطة «أردت أن أقوم بعمل كبير» وكثيرًا ما يتذرع هؤلاء الجناة بأعذار معنوية أو دينية . فالرجل الذي أنزل مطرقته برائعة (لابييتا) راح يعلن : (إنني يسوع المسيح) وكذلك المعتدي الذي كتب بالدهان الأحمر الكلمات التالية : (اقتلوا الأفعال الكاذبة)، على رائعة «جورنيكا لبيكاسو» فقد قال لرجال الشرطة : (إنني فنان ، وأريد أن أقول الحقيقة). وأما دي ريجك فقد زعم أنه تلقى وحيه من المسيح ورأى نفسه (مرغمًا بأن أعمل ما أقدمت على عمله) .

وماذا عسانا أن نفعل لحماية الآثار الفنية من مثل هذه الاعتداءات؟ هل بالإكثار من عدد الحراس، واختيارهم من أصحاب الكفاءات؟ أم بنشر كاميرات التليفزيون في المتاحف، في حلقة مقفلة؟ أم بتزويد المتاحف بواجهات زجاجية للعرض غير قابلة للكسر؟ أم بتغليف الروائع بأغلفة زجاجية؟ فربما كان من شأن هذه التدابير أن تحقق صيانة الأعمال الفنية المعروضة للجمهور . ولكن من أين لنا العزيمة والأموال اللازمة لتوفير الحد الأقصى من التأمين ، واستبعاد الأخطار التي يتعذر توقعها .

ويعتقد السيد جون بريلي، المحافظ الرئيسي لروائع متحف المتروبوليتان بنيويورك، أنه لا يمكن القيام في الحقيقة، بأي عمل يستحق الذكر، أمام المعتدين العازمين على ارتكاب جرائمهم. «مثلما يستحيل الحيلولة دون موت الذي يعتزم الانتحار، فإنه لابد من وجود برهة ينتهزها العازم على الاعتداء في أي متحف من

المتاحف؛ لكي يلقي في غفلة زجاجة من الحبر أو الأحماض الكاوية، أو يخرج مطواة من جيبه، لاسيما وأن مثل هذه الحركة لا تتطلب إلا بضع ثوان»!

وفي روما، يقول السيد جيوفاني العامل في معهد الترميم المركزي، في لهجة مسرحية: (لقد اعتدنا هذا الأمر. فهو القضاء المحتوم).

وبعد ، فبالنظر إلى هذا الوضع أصبحنا ندرك معنى سكوت المسئولين عن حماية الأعمال الفنية ، لقد كانت الاعتداءات المهمة في التاريخ على الآثار الفنية ، أعمالاً جماعية ارتكبها المعتدون لأسباب سياسية أو دينية .

ولقد قلنا إن هذه الاعتداءات قديمة قدم التاريخ، فقد عرفها العالم قبل مجيء الغزاة «الوندل»، هذا القزم الجرماني الذي سطا مع غيره من الهمج على مدينة روما وأنزل فيها السلب والنهب عام 455 بعد الميلاد.. وإليكم بعض الأمثلة : كان الفراعنة يشوهون صور أسلافهم. وقد دمر الفرس تمثال الإله «مردوق» الذهبي ومعابد بابل في عام 482 قبل الميلاد. وبعد ذلك بقرن ونصف القرن أحرق جنود الإسكندر الأكبر مدينة برسيبوليس. كما محا المسيحيون الأوائل رموز الآلهة القديمة واستبدلوا بها الصليب، كما حدث على جدران معابد فيلة في مصر، حدث ذلك قبل أن يعلن إمبراطور بيزنطة ليسون الثالث الأزوري، أن إتلاف الصور المقدسة أسلوبٌ سياسيٌّ لدولته ، فانطلق معه لفظ (عبادة الصور) وهدم الفيكنز كنائس أوربا الغربية باسم «ووتان» .... وأحيت فلورنسا ، في عهد سافونا رولا ، محاربة عبادة الصور وأرغمت بوتيتشلي ولورانتزودي كريدي على إلقاء لوحاتهما في النيران وهو نوع من الاعتداء الذي ازدهر أيضًا في عهد الإصلاح الديني .

وفي أثناء الثورة الفرنسية، أصبح التدمير والتشويه لأعمال الفن، غرضًا علمانيًّا، ولكنه كان شديد العنف، ومع هذا، فقد أنشئت في هذا العهد أول المتاحف الوطنية، كما شاع اللفظ الجديد (هدم آثار الفن) .

والنازيون الذين زعموا القيام ببناء مجتمع أفضل ، أدانوا جميع الفنانين الحديثين المعروفين، منذ سيزان، وأقاموا في عام 1938 في برلين معرضًا «لفن الانحلال» الذي يشمل فنانين من أمثال «فان جوخ» و«إدوارد مونش» ، ومن مدرسة باريس : «بيكاسو» و«براك» و«جوان جري» و«بول كلى» و«كاندنسكي» وجميع التعبيريين الألمان، بما فيهم نصير النازيين «إميل نوالد»!

وعندما مست حاجة النازيين إلى العملات الأجنبية ، قرروا أن يبيعوا أعمال «فن الانحلال» التي انتزعوها من المجموعات العامة في سائر ألمانيا .

ويروي الدكتور «هانتزين» أن الرجل الذي كلف بهذا البيع، تخلص من الصفقة بأسعار بخسة، تفاديًا لإتلاف اللوحات، وقد دخل بعضها في مجموعات خاصة، وبيع البعض الآخر إلى متحف بال بسويسرا، مباشرة. وفي 30 يونيو عام 1939، بيع قسم كبير من أعمال «فن الانحلال» بالمزاد العلني في لوسرن. وبعد هذا البيع، أحرق النازيون جميع ما تبقى منها : 1004 لوحات زيتية وأعمال نحتية ، و3825 رسمًا ولوحة مائية .

ويمكن التنويه بالاعتداءات المرتكبة أثناء الحرب العالمية الثانية ، عن طريق الإشارة إلى أماكن افتعال هذه الآثام : في صوفيا وروتردام وخاكوف ولنينجراد ، مونتي دريدن ، وبرلين .. وغيرها أماكن كثيرة .. ومن أجل مراقبة هذا النوع من التخريب تقرر عقد اتفاقية اليونسكو في لاهاي خلال 1954 ، لحماية الممتلكات الثقافية في حالة قيام نزاع مسلح.

وثمة أشكال أخرى من التخريب تبدو وكأنها أقل عنفًا من المعارك الحربية ، ولكنها لا تقل عنها تأثيرًا . والمثال الشهير في ذلك هو القرار الذي اتخذه لويس الخامس عشر في عام 1735 بهدم جاليري أوليس ، بقصر فونتينبلو وقد قام بزخرفة هذا الرواق ، في عهد فرنسوا الأول ، الفنان ميقولو دللاباتي دي مودين، اعتمادًا على رسوم لمعلمه لوبريماتيس (1504 - 1570) تعرض لـ 158 حلقة من الأودسة، وجعلته

مؤسس المدرسة الفرنسية في القرن السابع عشر . وقد قال فيه بوسان : «إنه لم يعرف مكانًا أرقى منه إثراء لتكوين الفنان وتفتح مواهبه». ولكن لويس الخامس عشر لم يتردد في دك أركانه واستبداله بجناح جديد.

ولابد أن تتوارد أمثلة أخرى إلى ذهن القارئ من صميم الحياة المعاصرة: فالتنمية الحضرية كثيرًا ما تذهب بمبانٍ ومجموعات معمارية يفوق جمالها ورونقها ما تأتي به المباني الحديثة ؛ مما يدل على أن التخريب ينشأ اليوم عن انعدام فهم الجمال ، كشأنه في عهد الغزاة الفاتحين الذين حولوا كنوز فنون «ألانكا» إلى سبائك ذهبية .

وما عسانا أن نقول عن ذلك الشكل الآخر من الاعتداءات المتكاثرة على الأعمال الفنية والمواقع التاريخية في هذه الأيام بدافع الكسب : نهب المدافن القديمة في إيطاليا وتركيا، وانتزاع التماثيل ، والنقوش البارزة من الآثار في أدغال أمريكا الوسطى وجنوب شرق آسيا ، ونقلها خلسة إلى الأسواق الغربية .

وقد تم وضع اتفاقية لليونسكو في عام 1970؛ لمكافحة هذا النوع من التخريب. وتنص الاتفاقية على منح «جوازات» للممتلكات الثقافية وغير ذلك من الوسائل لمراقبة الإنجاز غير المشروع بالأعمال الفنية .

وقد صدق على هذه الاتفاقية حتى الآن 26 بلدًا نصفها من البلاد المصدرة للآثار القديمة . غير أن العدد الأكبر من بلاد هذه الفئة لم ينضم بعدُ إلى الاتفاقية ، كما لم يصدق عليها إلى الآن أي بلد من البلاد المستوردة الرئيسية للآثار .

ولابد أخيرًا ، من الإشارة إلى التخريب بسبب الإهمال : تستغرب جيوليانا لوننا ، التي تعمل في معهد بحوث الأمم المتحدة في روما ، للقلة النسبية الملحوظة في أعمال التخريب الكبرى مثل : الاعتداء على رائعة (طواف الليل) ، بالنظر إلى التدمير الناتج عن عجز الإدارات المكلفة بحماية التراث الفني، هذا العجز الذي يعد في كثير من الحالات، مسئولاً عن أفظع أشكال التخريب وأضرها ، ابتداء من إهمال الأعمال الفنية، وتركها لتدمير الزمن وانتهاء بالترميم المعيب الذي لا يرتاح له ضمير .

وأما الدراسة التي أنجزها معهدنا في هذا الصدد ، فإنها وإن تخلت عن ذكر الاعتداءات على الآثار الفنية ، إلا أنها بمثابة عرض لسلسلة كاملة من أعمال التخريب التي تكاد تكون معترفًا بها رسميًّا .

ويقول المثل اللاتيني : الزمن شره ونهم ، وأما الإنسان فأشره وأنهم .

عن نشرة اليونسكو للصحافة

بقلم/ درك كينان

جرائم بدون عقوبة !

جرائم تزييف لوحات الفنانين

جرائم تزييف لوحات الفنانين

قضية تزييف لوحات كبار الفنانين وبيعها بمبالغ طائلة سببها أن هواة اقتناء اللوحات الفنية لا يستعينون بالخبراء والعارفين بإنتاج الفنانين الراحلين والمشاهير، عند شراء لوحات منسوبة إلى أحد هؤلاء الفنانين .. ويتعجلون الشراء قبل أن تباع اللوحات المعروضة عليهم لشخص آخر إذا تريث أو تردد . وفي الوقت نفسه أغرى الارتفاع الكبير في أسعار لوحات عدد من الفنانين أن يتعامل بعض التجار والرسامين الفاشلين في تزييف اللوحات وترويجها .

بعد فترة يكتشف المقتني أنه اشترى لوحة مزيفة .. وبدلًا من الإعلان عن ذلك وفضح التاجر الذي باعها له ، يحاول التخلص منها ببيعها لشخص آخر .. وهكذا تنتقل اللوحة المزيفة من مجموعة إلى أخرى وتضيع المسئولية ولا نعرف المصدر الذي قام بتزييف اللوحة .

امتلأت المجموعة الخاصة في مصر باللوحات «المضروبة»، كما تسرب عدد منها إلى المتاحف والمجموعات الخاصة بالبلاد العربية ، وهي أوضاع ستسبب مشاكل معقدة للأجيال التالية بعد أن يمضي الجيل الحالي من الخبراء والعارفين بإبداع الأجيال الثلاثة الأولى التي ارتفعت أسعار لوحات معظمهم إلى الحد الذي يغري المزيفين بالإقبال على نسخها أو رسم لوحات على منوالها ثم التأكيد كذبًا أنها من رسم أحدهم .

يعد أن بلغ ثمن إحدى لوحات محمود سعيد في مزاد أقيم في مدينة دبي في شهر يوليو عام 2010 بمبلغ مليون و 400 ألف دولار، وبعد أن بيعت لوحتان لعبد الهادي الجزار بمليون ونصف المليون من الجنيهات المصرية وأصبحت لوحاتهما وزملائهما هدفًا للمزيفين .

تزييف لوحات الأوربيين

قبل عام 1982 (وهو عام وفاة راغب عياد آخر فنان من جيل الرواد) كانت أسعار لوحات الفنانين المصريين متدنية ولا تغري أحدًا بتقليدها .. ولكن نتيجة لسياسة الانفتاح الاقتصادي والتحول إلى الاقتصاد التجاري ، مع وفاة آخر عمالقة جيل الرواد .. ظهر عدد من هواة اقتناء الأعمال الفنية المصرية ، وظهر عدد من المتاجرين بلوحات الفنانين ، وكان أول من دخل مشتريًا للوحات الفنانين بشراهة هو المرحوم «راغب الحسيني» وكان تاجرًا للأقمشة وصديقًا للفنان حامد ندا .. كان يزور الفنانين في مراسمهم ويدعي أنه لا يملك سوى 50 جنيهًا ، وأنه عاشق لإبداع هذا الفنان ، ولا يستطيع أن يعيش بدون لوحة من رسمه .. وقد جمع بهذه الطريقة عددًا هائلًا ، ثم تخصص في السفر يوم إجازته الأسبوعية إلى الإسكندرية ليعود آخر النهار محملًا بلوحات سيف وأدهم وانلي التي اشتراها من أرملة الفنان سيف وانلي بمبالغ ضئيلة مستغلًّا ظروف خلافها مع بقية ورثة الفنان، ورغبتها في إبعاد اللوحات عن متناول أيديهم .. وعندما أصدرت كتابي عن «الأخوين سيف وأدهم وانلي» بالاشتراك مع كمال الملاخ كانت مجموعة راغب الحسيني هي مصدر غالبية الصور التي نشرت بالكتاب وبلغ عددها 100 لوحة .

كانت هذه هي بداية الاهتمام التي رفعت أسعار اللوحات وجعلتها مغرية للمزيفين.

لكن نشاط التزييف كان موجودًا بمصر قبل 1952 ، فخلال حقبة الأربعينيات كان تزييف لوحات مشاهير الفنانين الأوربيين هو المجال الذي يقبل عليه المزيفون ، وقد

حكى لنا الفنان المبدع صبري راغب (1920 - 2000) كيف استغل المزيفون مهارته وبراعته في ممارسة مختلف الأساليب الفنية لتزييف لوحات العديد من الفنانين الأوربيين على مدى خمس سنوات .

ذات يوم بينما كان «صبري راغب» في أحد محال صناعة البراويز ليختار إطارًا لإحدى لوحاته ، تقدم منه رجل أجنبي كان يقف في المحل ، وقدم نفسه للفنان المصري قائلًا : «أنا الكونت كلييوس المتخصص في ترميم الصور الأثرية» .. وأبدى إعجابه بمهارة صبري راغب في الرسم ، وعرض عليه أن يعمل في مرسمه مقابل خمسة جنيهات في اليوم، وكان مبلغًا ضخمًا في ذلك الوقت ، تعجب الفنان الشاب فقد ترك مدرسة الفنون الجميلة مقررًا أن يعتمد على نفسه وأن يعيش من فنه وتصور في البداية أن الرجل يمزح أو يعبث به ، ولما تأكد أن العرض حقيقي لم يقاوم هذا الإغراء ، بل قبل العرض على الفور .

«الكونت كلييوس» روسي أبيض ، غادر بلاده بعد الثورة البلشفية عام 1917 ، وجاء إلى مصر ، وكان له «ستديو» في شارع عدلي باشا بوسط القاهرة .. قال عنه الفنان صبري راغب : «إنه كان أستاذًا في التوجيه الفني، تعلمت منه الكثير على مدى خمس سنوات سواء في ناحية هندسة اللوحة أو خبرة الترميم ، علمني كيف أحل أعقد المشاكل في هذا الميدان .. لقد كانت فترة دراسة متعمقة وإنتاج دائم في الرسم عن النماذج الحية التي كنت أرسمها في لوحاتي ، وعندما أتمها يأخذ الصور لحسابه ويمنحني راتبي» .

لكن من ناحية أخرى كان يحرص الكونت كلييوس على أن يجعلني أنفق هذا الدخل الكبير في اليوم نفسه ، بأن يصحبني معه إلى النوادي الليلية والأماكن العامة الفاخرة حيث مجالات الإنفاق لا تنتهي .

وبعد أشهر قليلة من العمل معه وجهني إلى دراسة الأساليب الخاصة بالفنانين العالمين : روبنز ، ورمبرانت ، وكورو ، وأوتريللو ، ثم رينوار ، وفان جوخ ، وإدجار

ديجا ... وغيرهم . وكنت قد درست أساليبهم في روما ، لكنه وجهني إلى التركيز على هذه الدراسة ، كان من جانبه يوفر لي اللوحات الأصلية لهؤلاء الفنانين لأتأملها عن قرب ، وكان يحضر لي بعضًا من نماذجها أو يرسلني لتأملها في أماكن عرضها أو عند أصحابها .. وكنت أرسم عن هؤلاء الفنانين لوحات من تأليفي بأسلوبهم، وأنقل إليها أجزاء من عدة لوحات أصلية بنفس أساليب أصحابها في الرسم .. وعندما كنت أنتهي من رسم إحدى هذه اللوحات كان يعطيني عشرين جنيهًا بدلًا من خمسة جنيهات . ثم يأخذ اللوحة ولا أعرف عنها شيئًا بعد ذلك . لقد كان رجلًا ذكيًّا فكان يطلب مني مثل هذه اللوحات على فترات متباعدة ، بعدها أعود لعملي المعتاد في رسم النماذج الحية (الموديلات) .

استمر عملي معه خمس سنوات ، وتعرفت من خلال علاقتي به على أشهر الشخصيات في مصر، وعلى بعض أمراء الأسرة الملكية ، وكان دائمًا يقدمني على أنني تلميذه. ولا أنسى ما كتبه عني في مقاله الذي نشر في «الكتاب الذهبي للمعرض الزراعي الصناعي» ومن بين ما أذكره في هذا المقال : «إن صبري راغب من أكبر فناني مصر في فن البورتريه» وكنت في العشرينيات من عمري .

خلال عملي معه كنت أظن أن لوحاتي تباع باعتبارها لوحات منقولة أو مقلدة .. وفي عام 1951 اكتشفت أنها كانت ترسل إلى باريس لتعالج بأساليب كيماوية كي تبدو قديمة ، كما يتم تزوير توقيع الفنان ، ثم تباع على أنها لوحات أصلية .

أما كيف اكتشفت ذلك فله قصة مع الأستاذ «محمد بك شعراوي» ابن هدى هانم شعراوي راعية الحركة الفنية التي حافظت على تراث محمود مختار ، وكان «محمد بك شعراوي» ضمن من تعرفت عليهم من وجهاء المجتمع ، وقد طلب مني أن أرسم بورتريه لزوجته فتوطدت في هذه الفترة علاقتنا . وكان الكونت «ريبون» - وهو صديق الكونت كلييوس . فوجئت به يومًا يدخل المرسم ويطلب مني أن أذهب معه إلى «محمد بك شعراوي»؛ لأنه يريد أن يأخذ رأيي في لوحة للفنان «رينوار» اشتراها من أحد المزادات .

كانت مفاجأة مذهلة ، عندما اكتشفت أنني صاحب الفرشاة التي رسمت تلك اللوحة وليس رينوار . وهي تصور وجهًا نسائيًّا ، وكانت توجيهات «الكونت كلييوس» أنه كلما ازداد التشابه في الأسلوب بين اللوحتين كان ذلك دليلًا على التفوق وارتفاع الموهبة، فبذلت أقصى ما أستطيع ليكون أسلوب الرسم مطابقًا لأسلوب اللوحة الأصلية.

حقيقة كانت ملامح الوجه يبدو عليها التشقق وكأنه بفعل الزمن ، وقد أضيف توقيع رينوار على طرفها ، وعلى الجانب الخلفي من اللوحة ختم يؤكد أصالتها ، وشهادة مرفقة من خارج مصر ... ورغم كل ذلك وقفت أؤكد أنني صاحب اللوحة لسبب بسيط هو أن الوجه المرسوم من تأليفي وليس نقلًا ميكانيكيًّا عن لوحة لرينوار .. وعرفت أنه دفع 780 جنيهًا ثمنًا لهذه اللوحة ، وأن الذي شجعه على شرائها وأكد أصالتها هو : «الكونت كلييوس» » .

وصارحه «صبري راغب» بالحقيقة مؤكدًا أن التوقيع والختم والشهادة جميعها مزيفة.

لم يصدق الرجل أذنيه ، وتحداه أن يرسم مثلها (متذرعًا بأن الوجه أوربي الملامح لا يمكن أن يرسمه فنان مصري) .. وقَبِل صبري راغب التحدي ، وأسرع إلى مرسمه ليحضر أدواته ليرسم لوحة مماثلة في بضع ساعات .. لكن «محمد بك شعراوي» كان يعتز بخبرته بأمثال هذه اللوحات التاريخية، وقال لصبري راغب إن الفتاة في لوحة رينوار فرنسية الملامح أما الفتاة في لوحتك فملامحها مصرية . وكان الموقف مريرًا فانسحب الفنان الشاب، وكانت آخر جملة قالها وهو يغادر بيت «محمد بك شعراوي» : «لكنني أؤكد لك أن الفنان الذي رسم اللوحتين هو فنان واحد».

وترك بيت الرجل الثري وهو يغلي ويكتم عواطفه.. ولكنه بعد فترة وجيزة عرف تتابع الوقائع التي حكى له تفاصيلها الكونت «ريبون» الذي قال له : «إن الكونت كلييوس عضو في أخطر عصابة دولية لتزييف لوحات كبار الفنانين ، وهي تتحكم في عدد

من الفنانين الشباب الموهوبين في أنحاء أوربا ، ويضاربون على أعمالهم الفنية .. فترسل اللوحات إلى المركز الرئيسي للمنظمة في فرنسا ؛ حيث تُجرَى عليها رتوش كيمائية تكسبها الإحساس بالقدم والتشقق ، وهناك يتم تزييف التوقيع والأختام وترفق مع شهادة مزورة بأصالتها ونسبها .

وكان رد الفعل عند محمد بك شعراوي عنيفًا عندما تأكد أنه خدع ، وانزعج لأنه كان يعتبر نفسه خبيرًا في هذه الأمور . وأمر الكونت كلييوس بمغادرة البلاد خلال 48 ساعة وإلا أطلق عليه الرصاص .. فسافر إلى أمريكا واختفت أخباره من يومها.

تماثيل منسوبة لمحمود مختار

خلال السنوات القليلة الماضية عرضت بالأسواق نسخ مسبوكة من البرونز للتماثيل الصغيرة التي أبدعها المثَّال الرائد «محمود مختار» وعند فحصها تبين أنها نسخ تم صبها على الأصول الرخامية والبرونزية المعروضة في متحفه بالجزيرة، لقد تم عمل قوالب متقنة للتماثيل استخدمت في صنع النسخ البرونزية ولم نعرف على وجه الدقة المسبك الذي أنتجها ، فبالنسبة لفن النحت (والطباعة الفنية بالحفر على الزنك أو النحاس) تحتفظ النسخ المصبوبة على الأصل بقيمة مماثلة أو مقاربة لقيمة التمثال الأصلي ، ومعروف أن جماعة أصدقاء محمود مختار أنفقت على سباكة عدد من تماثيل محمود مختار الجبسية التي لم يقم الفنان بتحويلها إلى خامة نبيلة خلال حياته .. لهذا لم نهتم كثيرًا بموضوع الاستنساخ ، لكن الأمر المزعج هو الذي اطلع عليه معظم النحاتين المصريين وعدد كبير من الصحفيين والنقاد الذين شاركوا في أي دورة من دورات مهرجان نحت الجرانيت في أسوان (السمبوزيوم) ، فأمام حمام السباحة بالفندق تمثال بالحجم الطبيعي لفلاحة تحمل الجرة ومكتوب تحته أنه من صنع محمود مختار ، وهو يسيء إلى محمود مختار بسبب الضعف في التشكيل والسذاجة في التعبير ، والأخطاء التشريحية التي لا يمكن أن يقع فيها

محمود مختار .. هذا التمثال لم يستطع أحد الاعتراض عليه ؛ لأنه في مكان خاص وليس لدينا قانون يمنع التزييف أو وضع اسم فنان على عمل لا يمت له بصلة .

ومن القضايا التي عرضت على نقابة الفنانين التشكيليين قضية الفنان المبدع سيد سعد الدين عندما تبين أن هناك محلًّا لصناعة البراويز بالزمالك أمام قصر عائشة فهمي يعرض لوحات منقولة عن أعماله وقام بضبطها وإيداعها قسم الشرطة .. لكن لم يحصل على أي تعويض لعدم وجود قانون يعاقب من يفعلون ذلك ، وانتهى الأمر بالتنبيه على المحل بعدم العودة إلى عرض مثل هذه الأعمال المنقولة .

أما الفنان محمد دسوقي فقد تعرض لمحاولة لاستغلاله في رسم لوحات لمحمود سعيد وراغب عياد كان يقوم بتزييفها رجل أرمني اسمه «زورو» وكان يدير «ورشة» يعمل بها عدة رسامين فاشلين .. وأبلغ محمد دسوقي الشرطة التي تحفظت على اللوحات .. وانتهت القضية بعدم تجديد الإقامة لأسرة المتاجر في اللوحات المزيفة وأُدرج على قائمة الممنوعين من دخول مصر ..

مطلوب إصدار قانون يعاقب المزيفين

المشكلة التي تواجهنا الآن وتمنعنا من فضح المزيفين الذين توصلنا إلى معرفتهم، وعدم قدرتنا على إعلان أسمائهم ، هو أنه ليس لدينا قانون يعاقب على تزييف الأعمال الفنية .. فإن قانون حماية حق المؤلف قام برعاية إصدار وزير الثقافة الأسبق الأديب «يوسف السباعي» ، ولأنه كان أديبًا لم تتضمن نصوص القانون إشارة إلى حماية إبداع الفنانين التشكيليين ، بل إن المشرع تعامل مع الفن التشكيلي كأنه نص روائي قابل للنسخ والاستغلال بالطباعة والتوزيع كالكتب !

لهذا لا نستطيع أن نفضح المزيفين لنحذِّر هواة الاقتناء من التعامل معهم ؛ لأن ذكر أسمائهم في مثل هذا الموضوع سيعرضنا نحن للمساءلة القانونية باعتبارنا نقوم بالتشهير بهم، فتزوير اللوحات الفنية لا يعاقب عليه القانون .

الحل القانوني الوحيد الممكن الآن هو أن يرفع الدعوى أحد الذين اشتروا اللوحات المزيفة باعتبارهم تعرضوا للنصب والاحتيال من خلال بيع سلعة خسيسة بثمن كبير نتيجة الادعاء بأنها لفنان مشهور .. والحكم في هذه الدعوى متروك لتقدير القاضي..

لهذا نطالب وزارة الثقافة أن تعمل بجدية من أجل تقديم صياغة مناسبة لقانون يعاقب على تزييف لوحات الفنانين ليصدر عن مجلس الشعب .

وفي حالة اكتشاف أحد الفنانين الأحياء تزييف أعماله ، فإن ردود الفعل تكون عادة غير قانونية ؛ فالفنان المصمم الدكتور إسحق عزمي اكتشف أن معرضًا لبيع الأثاث في شارع محيي الدين أبو العز قام بتقليد تصميمات المركز المصري للتصميم الذي يديره إسحق عزمي ، فقام باستدعاء صاحب المعرض إلى الكربة بحي «مصر الجديدة» وسحب منه مفاتيح سيارته وأجبره على العودة إلى معرضه بدون سيارته ، وكانت هذه هي كل عقوبته.. هذا بينما كان صاحب هذا المعرض يزيف لوحات الفنانين ويعرضها إلى جانب الأثاث في معرضه .

وهناك صاحبة قاعة معارض شهيرة تعرض في شقتها الخاصة مجموعة كبيرة من اللوحات المزيفة ، ولا تستضيف في هذه الشقة إلا الزبائن العرب وأحيانًا بعض هواة الاقتناء المصريين .. والأسعار دائمًا عشرات الآلاف للوحة الواحدة وأحيانًا مئات الآلاف من الجنيهات .

هذا وقد وضع خبير الترميم أحمد راضي بيانًا يوضح فيه طرق الخداع لتزوير اللوحات الزيتية ، وطرق الكشف على اللوحات للتأكد من أصالتها عند مقارنتها بلوحات مماثلة للفنان نفسه .

وقد قامت الجمعية المصرية لنقاد الفن التشكيلي ونقابة الفنانين التشكيليين بتحرير شهادات لعدد كبير من اللوحات ؛ لتؤكد أنها مزيفة وموقع على الشهادات من الخبراء بالجمعية ، وتوضح الشهادات أن اللوحات لا تنتمي إلى الاسم الذي تحمل

توقيعه ويدعي البعض أنها من رسمه وهذه اللوحات المزيفة منسوبة إلى الفنانين..
عبد الهادي الجزار -ويوسف كامل - وحسن سليمان - وعفت ناجي - ومحمد ناجي
- وأحمد صبري ، وحامد ندا - وتحية حليم .. وإنني أذكر هذه الأسماء ليدرك القارئ
حجم المصيبة التي وقعت فيها الحركة التشكيلية .



أستاذ دكتور صبحي الشاروني

- ولد بالقاهرة يوم 3 أبريل عام 1933 .
- صحفي بدار الجمهورية للصحافة ، تخصص في نقد الفنون الجميلة ومؤرخ للحركة الفنية المصرية .
- التحق بكلية الفنون الجميلة في القاهرة عام 1952 ، وحصل على دبلوم فن النحت عام 1958 .
- حصل على الجائزة الثانية في فن النحت من مسابقة الإنتاج الفني عام 1957.
- عمل ناقدًا فنيًّا في جريدة المساء منذ تأسيسها عام 1956 .
- تولى الإشراف على صفحة الفنون التشكيلية الأسبوعية التي كانت تصدر كل ثلاثاء بجريدة المساء فيما بين عامي 1974 و 1979 ... وتولى رئاسة القسم الفني بالجريدة في هذه الفترة ، ويحرر بابًا فنيًّا تحت اسم «ألوان وتماثيل» يوم الثلاثاء أسبوعيًّا .

- أسس دار نشر (كتابات معاصرة) وأشرف على إخراج مطبوعاتها التي بلغت 42 كتابًا في الفن والأدب فيما بين عامي 1968 و 1975 .
- حصل على درجة الماجستير في الفنون الجميلة ، تخصص نحت من جامعة حلوان عام 1979 .
- أشرف على إعداد الكتب الخمسة الأولى في سلسلة «وصف مصر المعاصرة من خلال الفنون التشكيلية» التي أصدرتها هيئة الاستعلامات فيما بين عامي 1983 و 1987 ، وقام بتصوير الأعمال الفنية المنشورة في معظم كتب هذه السلسلة .
- عمل مراسلًا من القاهرة لمجلة «فنون عربية» الفصلية التي أصدرت سبعة أعداد خلال عامي 1981 و 1982 وكانت تطبع في لندن .
- له دراسات نقدية منشورة في عديد من المجلات الثقافية المصرية والألمانية والإنجليزية .
- لديه أرشيف منظم بالكلمة والصورة للفنانين المصريين ومعظم الفنانين العرب والعالميين وهو أكبر مرجع متكامل للحركة الفنية في مصر منذ نشأتها حتى اليوم.
- نشر في مجلة «الدوحة» التي كانت تصدر شهريًا ، دراسات مصورة بالألوان عن الفنانين المصريين والعرب فيما بين عامي 1983 و 1986 .
- ساهم في تزويد «بنك المعلومات الفنية» التابع لكلية الفنون الجميلة - جامعة المنيا ، بالبيانات الخاصة بسيرة حياة 400 فنان مصري ، بالإضافة إلى أكثر من ثلاثة آلاف شريحة ملونة تصور نماذج من إنتاجهم .
- قام بتوثيق متحف كلية الفنون الجميلة - جامعة المنيا ، وتسجيل محتوياته بالصورة

والكلمة عام 1987 واستكمل توثيق الإضافات الجديدة إلى المتحف عام 1994 .

- نشر «تعليق وملاحظات» بالترجمة العربية لكتاب «الروحانية في الفن» تأليف «فاسيلي كاندنسكي» وتقديم «محمود بقشيش» الصادر في سلسلة دراسات في نقد الفنون الجميلة ، عن الهيئة العامة للكتاب عام 1994 .
- ساهم في توثيق وتوصيف مقتنيات «متحف الجزيرة» ومتحف «محمد محمود خليل وحرمه» من اللوحات والتماثيل الأوربية بالاشتراك مع الخبير الفني «مينا صاروفيم» على مدى عامين ونصف من منتصف 1988 حتى نهاية 1990 .
- تولى رئاسة تحرير سلسلة «دراسات في نقد الفنون الجميلة» ممثلًا للجمعية المصرية للنقاد، وأشرف على إصدار الكتب العشرة الأولى الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- أستاذ منتدب لتاريخ الحضارة وتاريخ الفن والتذوق في كليات الفنون الجميلة والتربية بعدة جامعات لعدة سنوات .
- حصل على درجة دكتوراه الفلسفة في الفنون الجميلة من جامعة حلوان عام 1994.
- قام عام 2005 بإعادة تصوير جميع لوحات النسخة العربية لكتاب «التصوير الحديث في مصر» (ويضم 293 لوحة) الذي وضعه بالفرنسية الناقد «إيميه آزار» عام 1961 . والصادر برقم 1000 عن المشروع القومي للترجمة .

المعارض

- أقام معرضه الأول في فن التصوير الفوتوغرافي «ملامح مصرية» في قاعة أتيليه القاهرة عام 1985 .
- معرض متجول في مدن ألمانيا الغربية عام 1986 تحت إشراف المكتب الإعلامي بسفارة مصر في بون .
- أقام معرضه الثاني في فن التصوير الفوتوغرافي «وجوه التشكيليين المصريين» في قاعة أتيليه القاهرة عام 1986 .
- أقام معرضه الثالث «روائع الفن القبطي» بأكاديمية الفنون الجميلة المصرية في روما من 30 مارس حتى 15 أبريل .. ثم انتقل إلى المركز الثقافي المصري في باريس من ؛ 6 حتى 26 يونيو 1987 .
- المعرض الرابع عن «البناء بالطين في واحة سيوة القديمة» في مقهى ومطعم «لي فيربلاي» ضمن مهرجان الفن الشعبي المصري الذي نظمه بيت ثقافات العالم في باريس طوال شهر فبراير 1988 .
- المعرض الخامس «روائع متحف الفن الإسلامي» في فندق ماريوت وفندق شيراتون الجزيرة بالقاهرة من 1 حتى 15 أغسطس 1988 .
- المعرض السادس «مقابر الهو» في قاعة أتيليه القاهرة 1990 .
- معرض متنقل في قصور الثقافة بالإسكندرية ومرسى مطروح وأسيوط عام 1997.
- المعرض السابع «روائع الفن المصري الحديث» في قاعة «أكسترا» بالزمالك في القاهرة عام 2001 .

- المعرض الثامن لمختارات من المعارض السابقة في قاعة المركز المصري للتعاون الثقافي الدولي بالقاهرة عام 2002 .

مؤلفاته

- «عبد الهادي الجزار - فنان الأساطير وعالم الفضاء» - عن الدار القومية عام 1966.
- «الفنان صلاح عبد الكريم» - عن دار كتابات معاصرة 1970 .
- «أحلى الكلام» - عن دار كتابات معاصرة 1972 .
- «الفنون التشكيلية» - عن دار كتابات معاصرة 1981 .
- «الفن التأثري» - عن دار المعارف 1982 .
- «الفنان صلاح طاهر» - عن الهيئة العامة للاستعلامات 1983 .
- «الأخوين سيف وأدهم وانلي» - بالاشتراك مع كمال الملاخ - عن الهيئة العامة للكتاب 1984.
- «77 عامًا مع الفنون الجميلة في مصر» - عن الهيئة العامة للاستعلامات 1985 .
- قامت «الثقافة الجماهيرية» بإصدار الطبعة الثانية في «مكتبة الشباب» من كتاب «الفنون التشكيلية» عام 1985 .
- «هؤلاء الفنانون العظماء ولوحاتهم الرائعة» - عن الهيئة العامة للكتاب 1986.
- «عبد الهادي الجزار» بالاشتراك مع آخرين - عن دار المستقبل العربي 1990.
- «80 سنة من الفن» بالاشتراك مع رشدي إسكندر وكمال الملاخ - عن الهيئة العامة للكتاب 1991.

- «المثقف المتمرد رمسيس يونان» في سلسلة «دراسات في نقد الفنون الجميلة» عن الهيئة العامة للكتاب 1992 .
- «فن النحت في مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين» - عن الدار المصرية اللبنانية 1993 .
- الفنان «بيكار» بالاشتراك مع آخرين - سلسلة دراسات في نقد الفنون الجميلة عن الهيئة العامة للكتاب بالتعاون مع الجمعية المصرية للنقاد 1993 .
- «مدارس ومذاهب الفن الحديث» سلسلة دراسات في نقد الفنون الجميلة عن الهيئة العامة للكتاب 1994 .
- موسوعة «الفنانون الشباب في مصر من خلال معارض الصالون السنوي الخمسة الأولى» عن المركز القومي للفنون التشكيلية 1994 (للتوزيع المجاني).
- «فنون الحضارات الكبرى» - عن مكتبة الأنجلو المصرية 1995 .
- الطبعة الثانية من كتاب «فنون الحضارات الكبرى» في جزءين - توزيع مكتبة الأنجلو المصرية 1996 .
- «عالم المفردات المدهشة في رسوم الفنان السيد القماش» عن الهيئة العامة لقصور الثقافة 1996 (نفد) .
- «متحف في كتاب» الذي يقدم مختارات من المجموعة المصرية عند الدكتور المهندس : «محمد سعيد فارسي» - عن دار الشروق - 1998 (بالعربية والإنجليزية).
- «الفن التشكيلي الحديث والمعاصر في مصر» بالاشتراك مع رشدي إسكندر وكمال الملاخ عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الكسو) في تونس - 1988.
- الفنانة «تحية حليم .. الواقعية الأسطورية» - عن دار الشروق - 1999 (بالعربية

والإنجليزية) .

- الفنان «مصطفى أحمد» عن دار الشروق - 2002 (بالعربية والإنجليزية) .
- «حسين بيكار الفنان الشامل» عن دار الشروق - 2002 (بالعربية والإنجليزية).
- «النحت في مائة عام» مع آخرين - عن قطاع الفنون التشكيلية - عام 2005 (للتوزيع المجاني).
- «ذاكرة الأمة - محمود مختار ومتحفه» - عن الدار المصرية اللبنانية - عام 2007 (بالعربية والإنجليزية) .
- «عبد الهادي الجزار» (بالإنجليزية) عن دار إلياس الحديثة للنشر - عام 2007.
- «روائع متحف الفن الإسلامي بالقاهرة» عن الدار المصرية اللبنانية - عام 2008.
- «صلاح طاهر» عن قطاع الفنون التشكيلية - عام 2008 .
- «حامد ندا نجم الفن المعاصر» عن الدار المصرية اللبنانية - عام 2010 (بالعربية والإنجليزية).
- «أشهر الرقات من المتاحف - عام 2011 عن الدار المصرية اللبنانية.

التكريم

- حصل على جائزة الدولة التشجيعية لعام 1986 عن تسجيل ودراسة الفنون التشكيلية والشعبية .
- حصل على جائزة الدولة للتفوق في الفنون عام 2006 .
- حصل على جائزة إخناتون من كلية الفنون الجميلة - جامعة المنيا عام 1988.

- حصل على نوط الامتياز من الطبقة الأولى في يونيو 1991 .
- نشرت الجريدة الرسمية قرار رئيس الجمهورية باستحقاقه وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى .
- قامت محافظة المنيا وقصر الثقافة بها بتكريمه مع اسم الفنان عبد السلام الشريف، والمثّال عبد البديع عبد الحي، والرسام محمد نادي .. في مناسبة افتتاح المبنى الجديد لقصر الثقافة في يونيو 1997 .
- قامت جمعية فناني الغوري بتكريمه ضمن أعلام حركة الفنون الجميلة في الاحتفال بالعيد الفضي لإنشائها عام 1999 (مرور 25 سنة على إنشائها) .
- قام بتكريمه ملتقى الأقصر الدولي الثالث للتصوير عام 2010 كناقد فني ، مع الدكتور محمد طه حسين كرسام ، ونجيب ساويرس كمحب للفنون الجميلة .